

جبران خليل جبران

# حواريتان

لعازر وحبیبته / الأعمى

صاغهما بالعربية وقدم لهما

هنري زغيب

## المقدمة

كان ذلك قبل ربع قرن.

وكنْتُ على منبر الصالة الكبرى المملَّحة بكنيسة "سيدة أرز لبنان" في بوسطن، ألقى ضُمَّةً من قصائدي في أمسيةٍ شعريّةٍ دعّنتني إليها الجالية اللبنانية في أيّار ١٩٩٤.

كان يغبطني في تلك الأمسية أمران :

- أنني على مسافةٍ مَبْنَيْنٍ من ذاك الذي كان يسكنه جبران وشقيقته مريانا<sup>(١)</sup> ويرتاح فيه إلى استقبال أصدقائه القلائل حين يأتي من نيويورك إلى بوسطن بضعة أيامٍ صيفاً لدى شقيقته،

- وأنا في حرم الكنيسة التي لم يكن يدخلها جبران، لكنه سُجِّيَ فيها نهار وداعه الأخير.

خلال إلقائي قصائدي، كان في مقدّمة الحضور رجل في مطلع السبعين يُصغي إليّ في ما بدا لي أن يفصلي عنه طيفُ غمامةٍ بعيدةٍ لا في السّماع بل في التلقّي. فكّرتُ بعد حين أن قد يكون أميركياً من أصل لبناني لم يعد يفهم العربية بعد نأيه عنها لساناً وحياءً يومية.

ما إن غادرتُ المنبر في نهاية قراءاتي حتى تقدّم مني الرجل، تسبقه بسمّة من رضا وسرور، وخاطبني بإنكليزتيته الأمّ :

- لم أفهم شعرك لكنني كنتُ أطرب لسماحك تُلقيه باللغة التي كنتُ أصغي إلى ابن عمي جبران يقرأ بها لزوّاره.

(١) الكنيسة على شارع تابلر في المبنى رقم ٧٨، وجبران كان يسكن ومريانا في المبنى رقم ٧٦.

ماذا؟ ابن عمّه جبران؟ استفسرتُ فجاءَ جوابُهُ برقًا سَطَعَ:

- نعم. جبران خليل جبران. هو ابنُ عمِّ أبي نقولا. وهو الذي كان عَرَّابِي في المعمودية وفي هذه الكنيسة بالذات، وهو الذي سَمَّاني "خليل" على اسمه الأدبيّ الذي كان به يُعرَف في أميركا، وبه أصدرتُ كتبه الإنكليزية. أنا إذاً أمام النَحَّاتِ البوسطاني خليل جبران الذي وضَعَ، مع زوجته جين، أهمَّ بيوغرافيا مفصَّلة وموثَّقة عن جبران.

لم يطلُ حديثي إليه عن اهتمامي بجبران وكتاباتي الكثيرة عنه، حتى سارعتُ إلى قبول دعوته إيايَ لزيارته.

في منزله/المحترف، استقبلتني زوجته جين بترحابٍ زادَه تعريفُهُ إياي لها، وإذا بي معهما في جولةٍ على جواهرٍ مقتنياتٍ ومخطوطاتٍ وأوراقٍ من جبران، تركتها "عمتي مريانا"، كما اعتاد أن يسميها، هو الذي كانت تحنوعليه منذ طفولته. كان فتى في العاشرة عند وفاة شقيقها الشاعر، حتى إذا شبَّ وهَرَمَت فصمَّمت على الانزواء إلى مأوى للعجزة<sup>(٢)</sup> - وكانت تجهل القراءة بالعربية وطبعًا بالإنكليزية - أعطته كلَّ ما كان شقيقها جبران ترك لديها في البيت، وكلَّ ما آل إليها من محترفه في نيويورك بعد وفاته<sup>(٣)</sup>.

من تلك الأوراق الكثيرة التي جمَّعت لديه، صاغَ وزوجته الطبعة الأولى من سيرة جبران في كتابه البيوغرافي "خليل جبران - حياته وعالمه"<sup>(٤)</sup>، وتنازل بعدها طبعتاً ثلاثاً لرواجه الواسع وصدَّق وثائقه.

(٢) انتقلت إليه سنة ١٩٦٨ في بداية فقدانها الذاكرة، وتُوِّفَّت فيه مساء الثلاثاء ٢٨ آذار ١٩٧٢ عن ٨٨ عامًا.

(٣) الساعة ١٠:٥٥ ليلاً الجمعة ١٠ نيسان ١٩٣١.

(٤) Kahlil Gibran, His life and world, New York Graphic Society, 1974.

اكتنز لديه أوراقًا ومخطوطاتٍ من جبران راح يبوِّهها تباعًا، ويُصدر ما كان مكتملًا منها، بينها "لعازر وحبیبته" (٥)، و"الأعمى" (٦) وكلتاهما حواريةً من فصل واحد.

بعد تلك الجولة الممتعة على ما لدى خليل من كنوزٍ جبرانية، لم أخرج من محترفه إلا بكتابٍ وقَّعه لي وزوجته، يحمل الحواريتين معًا (٧).

ومنذ ربع قرن، والكتاب مائلٌ أمامي في مكتبي، حتى إذا أنجزتُ إعدادي "هذا الرجل من لبنان" عن كتاب باربرة يونغ بالعنوان ذاته وسائر ما كتبتُه عن جبران في مطبوعاتٍ أُخرى، وبعض ما وجدته عن جبران غيرَ منشورٍ لدى قراء اليوم، أحسستُ أن جاء وقتُ هذا الكتاب/الهدية من ناشريه، فأنصرفتُ إليه.

\*\*\*

هذا الشكل الحواري في النصوص، اعتمده جبران في بعض كتاباته العربية، نُصوصًا حواريةً قصيرةً ذاتَ مشاهدٍ وأشخاصٍ، منها "الصلبان" (٨)، و"إرم ذات العُمد" (٩)، و"ملك البلاد وراعي الغنم" (١٠). ولم تخلُ كتاباتٌ له أُخرى، بالعربية والإنكليزية، من حواراتٍ عاديةٍ اقتضاها السرد وظهرت في "النبى" و"حديقة النبى" و"الأجنحة المتكسرة" وقصص "الأرواح المتمردة" وسواها.

5) *Lazarus and His Beloved*, first printing, New York Graphic Society, 1973.

6) *The Blind*, 1982.

7) *Dramas of Life – Lazarus and his beloved, and The Blind – The Westminster Press, Philadelphia, 1982.*

٨) في مجموعة "العواصف" (القاهرة ١٩٢٠).

٩) في مجموعة "البدائع والطرائف" (القاهرة ١٩٢٣)، وكانت قبلَ ذلك صدرت في "مجموعة الرابطة القلمية" (نيويورك ١٩٢١).

١٠) نشرها ميخائيل نعيمة في كتابه عن جبران، وذكر أنها "آخر ما كتب جبران بالعربية"، وأنه كان أعدّها للنشر في عددٍ ممتاز من "السائح" مع مطلع ١٩٣١، لكن المجلة احتجبت قبلَ ذلك.

على أن النص الحوارى الأطول هو الذى حرّكه جبران فى اثنين: "لِعازر" و"الأعشى".

## (١) لِعازر وحبيبته

فى نصوص ماري هاسكل وباربرة يونغ أن جبران، قبل أن يتمكن جيّدًا من كتابته الإنكليزية، كان يكتب (ويفكر) بالعربية ثم ينقل بعضًا منها إلى الإنكليزية.

فى يومية ماري هاسكل نهار الأحد ٢٦ نيسان ١٩١٤ جاء: "قال لى جبران إنه يُهيئُ كتابًا بأربعة نصوص من النثر الشعريّ: "الشيطان"، "الست بلقيس"، "الشاعر"، و"لِعازر وحُبه الوحيد". العنوان الأخير جديد عليّ. لا أعرف متى كتبه خليل. وهو عن لِعازر الذى جاء فى الإنجيل أنه مات ثلاثة أيام وذهب إلى عالم روحه، وفيه التقى بحبيبته ليعيش معها. لكنّ إله العالم الأرضى استدعاه إلى الحياة على هذه الأرض من جديد".

سوى أنّ جبران، سنة ١٩٢٦، عدلَ عن أسلوب النثر الشعري العربى الذى اشتهر به، وعاد فكتب صيغة "لِعازر" الإنكليزية بالشكل الحوارى.

تروى ماري فى يومية الخميس ١٣ أيار ١٩٢٦ أنها، بعد زواجها من فلورنس ماينس نهار الجمعة ٧ أيار، زارت معه نيويورك نهار الإثنين ١٠ أيار استعدادًا لرحلة طويلة إلى أوروبا. وفيما انصرف زوجها فى المدينة إلى إنجاز معاملات جواز السفر وإلى غدائه مع زملاء له فى حيّ "وول ستريت"، زارت هى جبران فى محترفه فأخبرها عن مجموعة "رمل وزبد" التى "ترجم معظم نصوصها عن العربية". ثم عادت فزارته ثانية نهار الخميس ١٣ أيار فقرأ لها "لِعازر"، حوارية من فصل واحد. قرأها بتأثر شديد لأن ثلاثة أيام لِعازر ميثًا كانت "تعكس

أحلام جبران عن تلك الحياة الأخرى المتحررة من قيود هذه الحياة البشرية".  
وفي جلسة ١٣ أيار تلك، ذكّر لها نصًّا في باله ينوي كتابته عن رجل أعشى.

غير أنّ تفصيلاً آخر عن حوارية "لِعازر" يأتينا من الكاتبة ألما ريد<sup>(١١)</sup>  
في كتابها "أوروزكو". رَوَتْ أَنَّهَا دَعَتْ إِلَى محترف صديقها الرسام المكسيكي  
خوسيه أوروزكو شلَّةً من الأصدقاء احتفاءً بذكرى ميلاد جبران السادسة  
والأربعين مساءً الأحد ٦ كانون الثاني ١٩٢٩. في تلك الأمسية قرأت السيِّدة  
بِلُّ بيكر مقاطعَ مطبوعةً من "النبي" ومن "يسوع ابن الإنسان"، ومشاهدَ  
من حوارية كانت بعدُ مخطوطةً: "لِعازر وحبيبته". ثم جاء دور جبران في  
القراءة، فبدأ يقرأ مقطوعة "الثعلب" من كتابه "المجنون"، وإذا به فجأةً  
يتأثّر بشكل فاضح ويتوقّف عن القراءة وينهض داخلًا إلى قاعة أخرى. لحقّت  
به السيِّدة ريد فوجدته يبكي في الغرفة الأخرى. ولدى سؤالها إياه أجاها:  
"أعرف الحقيقة وأواجهها: لم أعد أستطيع أن آتي بجودة ما جاء في كتاباتي  
السابقة". أخذت السيِّدة ريد تؤاسيه مُؤكِّدةً له أن مخطوطة "لِعازر" لا تقلُّ  
إبداعًا عن مقطوعات "المجنون". ولجّح به الرسام أوروزكو يُثني على كتاباته  
الجديدة وأن يعطيها وقتًا كي تُثبِت تَألِّقها كما في كتبه المطبوعة السابقة.  
وفي ذلك الفصل من كتابها الذي صدر سنة ١٩٥٩، تُكمل ريد ما حصل  
تلك الليلة، كاشفةً علمها لاحقًا أنّ "بُكاء جبران ليلتئذٍ لم يكن لِخِيبَتِهِ من  
نصوصه الجديدة التي يراها أقلَّ أهميةً من تلك القديمة، بل لأنّه كان عليمًا  
من الأطباء أنه مصابٌّ بداءٍ قاتلٍ وأنَّ أيامه باتت معدودة".

من هنا، من المقارنة بين "مجنون" مجموعته الإنكليزية الأولى "المجنون"  
(١٩١٨) وبين "مجنون" حوارية "لِعازر"، يتّضح أنّ هذا الأخير ليس ضالعًا

(١١) صحافية أميركية (١٨٨٩-١٩٦٦) عملت في صحف كبرى، بينها "نيويورك تايمز"، وفتحت بيتها في نيويورك  
صالونًا أدبيًّا كانت تستقبل فيه دورياً أعلام تلك الفترة، وبينهم جبران.

مباشرةً في حركة النص (كما كان "يوحنا المجنون" في مجموعة "عراس المروج"، نيويورك ١٩٠٦) بل هو (بلسان جبران) مُعلِّقٌ قاسٍ، بلا شفقة أحياناً في أحكامه، حتى على والدة لعازر وشقيقته.

لعازر في الحوارية ليس مجردَ رجلٍ عاد من الموت إلى الحياة، بل هو رمزُ البحث عن الأبعد وراء هذه الحياة الأرضية، البحث عن المُصالحة مع روح الحبيبة، وعن الاتحاد لا بالله بل بالمدى الأوسع.

من هذا الإيمان بعودة الروح، أو التناسخ أو التقمُّص، يتجلَّى وعيُ جبران كينونته على هذه الأرض، وتوقُّه الدائم إلى الـ"هناك" حيث الحياة متحررةً من قيود الحياة البشرية. ولذا ختم حواريته على لسان لعازر مغادراً بيته الأرضيَّ للحاق بيسوع: "سأذهب الآن سعيًا إلى روحه فأتحرَّر... سوف أتبع ريح الشرق أتَّى تحمِّلني... ومن بين جميع الرجال سأكون وحدي الذي عانى الحياةَ مرتين والموتَ مرتين، ومرتين عرَف الأبدية".

وهذا الإيمان ذاته كان قبلذاك ختمَ "النبى" على لسان المصطفى مخاطبًا شعبَ أورفليس: "تذكِّروا أنني عائدٌ إليكم. قليلاً بعدُ ويجمع توقي غباراً وزبدًا لجسدٍ آخر، وقليلاً بعدُ، لحظة راحةٍ فوق الريح، وتلدُّني امرأةٌ أخرى".

## (٢) الأعمى

في جلسة ١٣ أيَّار، كما تقدَّم، ذكَّر جبران لماري هاسكل فكرة كتابة نص "الأعمى" من دون تفصيل. ولم يردْ تفصيلٌ في أيِّ مكانٍ آخر عن هذه الحوارية من فصل واحد. ولكن سلامة الأوراق التي كانت مكدَّسةً في "صناديق" مريانا، تدلُّ على أنها ليست تالفةً عتيقةً، كالكثير من أوراقٍ ومخطوطاتٍ أُخرى، ما يدلُّ على أن جبران كتَّها في السنوات الأخيرة من حياته.

"الأعشى"، و"لعازر" - بين أوراق جبران الموجودة في الصناديق - هما النصّان المكتملان بالشكل الحواريّ، بينما ثلاثة سواهما لم تنبسط توسيعاً وحواراتٍ، بل بقيت غير مكتملة، وهي: "الساحرة"، "المسحة الأخيرة"، و"الأحذب أو الرجل الخفي"<sup>(١٢)</sup>. ولأنّ هذه النصوص، على الأرجح، وضعها جبران في السنوات الأخيرة من حياته، تبدو فيها مسحة الموت التي كان يعيشها من دون أن يُشرك بها أحداً في سرّه وكتابته.

وإذا كان في "لعازر" أثرٌ من روح الشرق، مكانٍ حصول الحدث، ففي "الأعشى"، مكاناً وحركةً وأسماء شخصيات، تصميمٌ واضحٌ على ابتعاده عن أيّ أثرٍ شرقيٍّ أو مشرقيٍّ. فليس فيها أيُّ ملمحٍ من شخصيات شرقية ("الميترا" أو "يوحنا المجنون")، ولا أيُّ ذكرٍ لحنينه إلى جبال لبنان (في "لعازر" ذكُر لها) ولا إلى همومه عن شعبه في لبنان. ولعلّ نصه هذا، شكلاً ومضموناً، هو الأكثر ابتعاداً عن أجواء نصوصه السابقة، والأعمق توغُّلاً في بيئته الغربية.

في شخصية الأعشى ملامحٌ من إيمان جبران بالرّبِّ الكوني غير المقيّد بحدودٍ أرضية. والحكمة التي تتجلّى في شخصية الأعشى، كانت تجلّت سابقاً في كتاب "المجنون" مع شخصية "الفلكي الأعشى" الذي "يرى الشمس والأقمار والنجوم، وهو أكثرُ الناس حكمةً"، وكما رسمها جبران في قصيدته "الشاعر الأعشى": "في الظلمة أتقدّم فيما أنتم متوقفون خائفين من النور. أتقدّم وأغني ولا أضلُّ طريقي"<sup>(١٣)</sup>.

١٢) هذه النصوص غير المكتملة، وجميع الوثائق والمخطوطات والمقتنيات، هي اليوم لدى متحف سُمبّا في المكسيك، آلت إليه من خليل وجين جبران، وهي مجمل ما كان لديهما من مريانا جبران.

١٣) كان جبران أملى هذا القصيدة في محترفه على باربرة يونغ، وأصدرها لاحقاً في مجلة "الشرق الجديد" (صيف ١٩٢٥). ونشرتها باربرة يونغ كاملةً في الفصل التاسع ("لا عمُر للكلمات") من كتابها "هذا الرجل من لبنان" (نيويورك ١٩٤٥).



هذه الفكرة عن النور في العينين المُطفأتين، وردت كذلك في "يسوع ابن الإنسان" على لسان "الفيلسوف": "نحن من تخدّرت حواسنا، ننظر إلى النور الكامل لكننا لا نرى شيئاً". وهو إيمان جبران بأنّ عى الرؤية تغلبه الرؤيا في الفكر فتُنير البصيرة. وقد يكون العى فكرةً سوداءً تمحوها فكرةً بيضاء. من هنا قوله في "يسوع ابن الإنسان": "يا سيّد، يا سيّد النور الذي عينه ترى بأصابع الأعمى".

هذه الحاسة السادسة التي كان جبران دومًا يتحدث عنها، يكتُب عنها، "يعيشها"، هي التي، في هذه الحوارية، جعلت أنّا تتعامى عن رؤية والدتها هِلُنْ تغادر البيت مع عشيقها، كي لا تصدم الصبيّة أباهَا ديفيد، وكي تعيش معه في عالمه الأوسع الذي لا حدود لعماه في عينيه الرائيتين.

وهذا ما يتّضح تمامًا في الحوارية من عبارة المجنون متوجّهًا إلى هِلُنْ عند لومها ابنتها أنّا على تَعَلُّمها لغة العميان: "... لكي تتعلّم لغة العتمة، يا سيّدي الجميلة. ففي تلك اللغة: كلُّ كلمةٍ نَجْمَةٌ، وما سوى الربِّ يصوغ عباراتها".

في حوارية "الأعمى" يتجلّى واضحًا نضجُ جبران في نظرتَه إلى العالم، إلى هذا العالم الأرضيِّ، وتوقه إلى "الليل الأبدي اللامتناهي"، وهو إيمانه بانتقال الروح الفردية إلى التجاوز الكوني الشامل الذي، في حواراته مع ماري هاسكل، كان يسمّيه "ضمير الكون الأوسع".

\*\*\*

أعود إلى ذكرياتي ذاك النهار من أيار قبل ربع قرن.

حين حملتُ الكتابَ وعليه إهداءٌ إليّ من خليل جبران، وصافحته مودّعًا إياه وزوجته جين، لم يدُر في بالي أنّ سيّجِيءُ يومٌ أنقله فيه إلى العربية.

حين راسلتُ جين طالبًا إذنها بترجمة الحوارتَيْن<sup>(١٤)</sup>، أجابتني موافقَةً  
(رسالتها في ١٦ آب ٢٠١٩) مع طلبٍ وحيدٍ أن أذكر الأرصدة الأصلية في  
الطبعة العربية.

وإنني طبعًا ذاكِرُها، ولأءٍ لها على السّماح بالترجمة، ووفاءً لزوجها خليل  
الذي غاب<sup>(١٥)</sup>، لكنه ما زال ماثلاً في ذاكرتي: أنا أُلقي قصائدي في بوسطن،  
وأمامي في مقدمة الحضور مَلَمَحُ ذاك الرجل السبعيني، يُصغي إليّ في ما بدا  
لي أن يفصلني عنه طيفُ غمامةٍ بعيدةٍ لا في السّماع بل في التلقّي. وما زلت  
أذكر صوته الباسم يقول لي: "لم أفهم شعرك لكنني كنتُ أطرب لسماحك  
تلقّيه باللغة التي كنتُ أصغي إلى ابن عبيّ جبران يقرأُ بها لزوّاره".

حزني غيب

٢٩ أيلول ٢٠١٩

(١٤) صدرت لهما ترجمتٌ إلى العربية، لا يبدو أن جين على علم بها.

(١٥) توفي سنة ٢٠٠٨ عن ٨٦ عامًا. ولاحقًا نشرتْ مذكراتها عنه في كتابها "الحُب مرئيًا" Love made visible ٥٠ عامًا من الزواج السعيد (نيويورك ٢٠١٨).

# لِعَازِرٍ وَحَبِيبَتِهِ

جَوَارِيَّةٌ مِنْ فَصْلِ وَاحِدٍ وَ ١٢ مَشْهُدًا

## أشخاص الحوارية

لعازر

مريم : شقيقة لعازر

مرتا : شقيقة لعازر

الأم : والدة لعازر

فيلبُّس : من تلامذة يسوع

المجنون

المكان : حديقة أمام منزل لعازر في بيت عنيا

الوقت : غروب اثنين الفصح

غداة قيامة يسوع الناصري من الموت  
وخروجه من القبر

- ... وَصَلَتْ مَرْيَمُ إِلَى حَيْثُ كَانَ يَسُوعُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ خَرَّتْ عِنْدَ قَدَمَيْهِ ضَارِعَةً:
- يَا سَيِّدَ، لَوْ كُنْتُ هُنَا لَمَّا مَاتَ أَخِي.
- رَأَاهَا يَسُوعُ تَبْكِي، وَالْيَهُودُ الَّذِينَ مَعَهَا يَبْكُونَ، فَوَجَمَ تَأْتُرًا وَاضْطَرْبًا. ثُمَّ قَالَ:
- أَيْنَ وَضَعْتُمُوهُ؟
- قَالُوا لَهُ:
- تَعَالَ يَا سَيِّدَ وَانظُرْ.
- بَكَى يَسُوعُ، فَقَالَ بَعْضُ الْيَهُودِ:
- كَمْ كَانَ يُحِبُّهُ!
- لَكِنَّ آخَرِينَ تَهَامَسُوا:
- هُوَ الَّذِي فَتَحَ عَيْنِي الْأَعْمَى، أَلَمْ يَكُنْ يَقْدِرُ أَيْضًا أَنْ يُبْعِدَ الْمَوْتَ عَنِ لِعَازِرٍ؟
- بِإِلْهَامِ التَّائُرِ وَصَلَ يَسُوعُ إِلَى الْقَبْرِ، وَكَانَ مَغَارَةً عَلَى مَدْخَلِهَا صَخْرٌ. فَقَالَ:
- ارْفَعُوا الصَّخْرَةَ.
- قَالَتْ لَهُ مَرْتَا أُخْتُ الْمَيِّتِ:
- لَعَلَّهُ أَنْتَ. يَا سَيِّدَ، هُوَ يَوْمَهُ الرَّابِعَ فِي الْقَبْرِ.
- قَالَ لَهَا يَسُوعُ:
- أَلَمْ أَقُلْ لَكَ: إِنَّ تَوْمِنِي تَرِي مَجْدَ الرَّبِّ؟
- وَإِذْ رَفَعُوا الصَّخْرَةَ، رَفَعَ يَسُوعُ عَيْنَيْهِ إِلَى فَوْقِ وَقَالَ:
- أَبَتَاهُ، لَكَ الْمَجْدُ أَنْكَ اسْتَجَبْتَ لِي. أَعْرِفُ أَنَّكَ دَوْمًا تَمْنَحُنِي اسْتِجَابَتَكَ، لَكِنِّي أَقُولُهَا لِيُؤْمِنَ هَذَا الْجَمْعُ حَوْلِي أَنَّكَ أَنْتَ مُرْسَلِي.
- ثُمَّ صَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ:
- لِعَازِرَ، هَلُمَّ خَارِجًا.
- فَخَرَجَ الْمَيِّتُ، يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ مَرْبُوطَةٌ بِأَقْمِطَةٍ، وَوَجْهُهُ مَلْفُوفٌ بِمَنْدِيلٍ.
- قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:
- "فُكُّوهُ... وَدَعُّوهُ يَذْهَبُ."

يوحنا، الفصل ١١، الآيات ٣٢ - ٤٤

## المشهد الأول

### مريم - مرتا - المجنون

إلى يمين المسرح : مريم تنظرُ صوب التلال

إلى يسار المسرح : مرتا جالسةٌ إلى نَولها حَدَّ باب المنزل

عند زاوية المنزل : المجنون مُتَكَيِّ إلى الجدار

مريم تلتفت إلى مرتا

مريم : أراكِ لا تعملين. لم تنسجي كثيرًا منذ فترة.

مرتا : أنتِ لا تقصدين عملي، بل تكأسلي لأنه يذكركِ بكلام  
سيّدنا. آه السيّد الحبيب!

المجنون : سَيَجِيءُ يَوْمٌ لن يعودَ فيه من يحوك، ولا من يلبس. سوف  
نقف جميعنا عُرَاءَ أمام الشمس.

صمتٌ طويل.

لا يبدو أن المرأتين سَمِعَتَا المجنون يتكلم.  
ولن تسمعاه طيلة الحوارية

مريم : المساء يقترب.

مرتا : صحيح. المساء يقترب.

تخرج الأم من باب المنزل

## المشهد الثاني

### مريم - مرتا - المجنون - الأُمّ

الأُمّ : أَلَمْ يَعُدْ بَعْدُ؟

مرتا : كَلَّا، أُمِّي، لَمْ يَعُدْ بَعْدُ.

ثلاثتُهِنَّ يَنْظُرْنَ صَوْبَ التَّلَالِ

المجنون : ذاك الذي تَعْرِفُنَهُ، لن يعودَ كما كان. كلُّ ما سَتَرْتِينِ منه:  
روحٌ تَصْطَرَعُ فِي جَسَدِ.

مريم : إِخَالُهُ لَمْ يَعُدْ بَعْدُ مِنْ أَيَّامِهِ الثَّلَاثَةِ فِي ذَاكَ الْعَالَمِ الْآخَرِ.

الأُمّ : مَوْتٌ سَيِّدْنَا أَثْرَبَهُ عَمِيقًا. فِي الْأَيَّامِ الْآخِرَةِ يَكَادُ لَا يَأْكُلُ إِلَّا  
كَسْرَةَ خَبْزٍ. وَأَعْرَفَ أَنَّهُ لِيَلًا لَا يَنَامُ. وَالسَّبَبُ : أَكِيدًا مَوْتُ  
صَدِيقِنَا.

مرتا : كَلَّا، أُمَّاهُ، بَلْ سَبَبُ آخَرَ. سَبَبٌ لَا أَفْهَمُهُ.

مريم : صَحِيحٌ. سَبَبٌ آخَرَ. أَعْرَفُهُ أَنَا أَيْضًا. طَوِيلًا عَرَفْتُهُ وَلَا  
يُمْكِنُنِي تَفْسِيرُهُ. نِظْرَةُ أَخِي بَاتَتْ أَعْمَقَ مِنْذَ عَادَ مِنْ مَوْتِهِ.  
يَتَفَرَّسُ بِي كَأَنَّهُ يَرَى فِيَّ شَخْصًا آخَرَ. حَنُونٌ هُوَ، لَكِنَّ  
حَنَانَهُ لِشَخْصٍ لَيْسَ بَيْنَنَا. صَامِتٌ هُوَ، كَأَنَّ خَتَمَ الْمَوْتِ  
مَا زَالَ يُقْفِلُ شَفْتَيْهِ.

صَمْتُ طَوِيلٌ بَيْنَهُنَّ

المجنون : كلُّ منَّا يحدِّقُ في شخصٍ ويرى فيه شخصًا آخر.

الأمُّ تخترقُ الصمتَ الطويلَ

الأمُّ : يجب أن يعود. طال مُكوئُهُ وحده فوقَ بين هذه التلال.  
فَلْيَعُدْ وَيَكُنْ مَعَنَا.

مريم : أمي، هو من زمان لم يَعُدْ مَعَنَا.

مرتا : كيف ! دائماً كان مَعَنَا، إِلَّا تلكَ الأيامَ الثلاثة.

مريم : الأيامَ الثلاثة ؟ تلكَ الأيامَ الثلاثة... صحيح، مرتا، لم تكن  
إِلَّا أَيَّامًا ثَلَاثَةً.

الأمُّ : آنَ لولدي أن يعود من تلك التلال.

مرتا : سيعود، أمي، سيعود. لا تقلقي.

مريم بصوت غريب:

مريم : إِخَالُهُ، لِلْحِظَاتِ، لن يعودَ من تلك التلال.

الأمُّ : طالما هو عاد من ذاك القبر فكيف لا يعود من تلك التلال ؟  
أواه يا ابنتي ما أَصْعَبَ أَنَّ مَنْ أَعَادَهُ لَنَا إِلَى الْحَيَاةِ هُوَ مِنْذُ  
البارحة بدون حياة.

مريم : أَيُّ سِرِّ هَذَا ! وَأَيُّ أَلَمٍ !

الأمُّ : ما أَشْرَسَ قَسْوَتَهُمْ عَلَى مَنْ أَعَادَ وَلَدِي إِلَى قَلْبِي.

صمت



مرتا : ما الذي يُبقي لِعاذر طويلاً فوقَ بين التلال ؟

مريم : سهلٌ على مَنْ يحلم أن يضلَّ في الحلم طريقه بين بساتين الزيتون. أعرفُ رُكنًا كان لِعاذر يحب أن يجلسَ فيه ويحلمَ طويلاً. الرُّكن عند ضفة نهر صغير، إن لستِ تعرفين النهر لن تبُلغي ذلك الرُّكن. مرَّةً صحبتي إليه وجلسنا، كطِفْلين، كلُّ على صخرة. كان ربيعٌ، وكانت حولنا براعم الزهر في زهوة الربيع. أحيانًا في الشتاء نتذكَّر معًا ذلك الركنَ الربيعيَّ. وكلِّما تذكَّرهُ، شَعَّ من عينيه نورٌ غريب.

المجنون : صحيح... نورٌ غريب... ذلك الظلُّ الذي يُخفيه النور الآخر.

مريم : ولكن، أُمي، تعرفين أنَّ لِعاذر كان دومًا بعيدًا عنا فيما يكون بيننا.

الأُمُّ : تقولين كلامًا كثيرًا لا أفهمُه.

صمت

الأُمُّ : كل ما أفهم أن يعودَ ولدي من تلك التلال. أن يعودَ فيكون معنا.

صمت

الأُمُّ : فَالْعُدِّ إلى المطبخ. العَدَس لم يعدَ يحتمل الغليان.

تدخل إلى المنزل

## المشهد الثالث

### مريم - مرتا - المجنون

مرتا : مريم، ليطني أفهم كلَّ ما تقولين. حين تتكلَّمين، أحسُّ كأنَّ شخصٌ آخريتكلم.

يتحوَّل غريبًا صوتُ مريم

مريم : أعرِف، أختاه، أعرِف. حين نتكلَّم يكون شخصٌ آخر يتكلَّم فينا.

صمت طويل.

مريم في تفكير عميق.

مرتا ترمُقها ببعض استغراب.

يُطلُّ لعازر عائداً من التلال.

يرتمي على العشب تحت شجرة اللوز عند زاوية المنزل.

مريم تهرع إليه ملهوفة.

## المشهد الرابع

### مریم - مرتا - المجنون - لعازر

مریم : لعازر، أخي حبيبي، تبدو مرهقًا وضعيفًا. لِمَ مشيتَ بعيدًا هكذا؟

لعازر يتكلم ساهمًا

لعازر : نمشي... نمشي ولا نصل... نسعى... نسعى... ولا ننال... لكنَّ الأفضَلَ البقاءُ هناكَ بين التلال.

المجنون : طبعًا... فهذا الهُناكُ أدنى خطوةٍ واحدةٍ إلى التلال الأخرى.

صمت قصير

مرتا : ولكنك مرهق. تغادرنا نهارًا كاملًا فتقلِّقنا ولا نرتاح إلا متى تعود. وحين تتركنا وحدنا مُجددًا تقلُّبُ ارتياحنا قلِّقًا.

لعازر يلتفت بعيدًا صوب التلال

لعازر : اليوم تأخَّرتُ عليكِ طويلاً؟ غريبٌ كيف تُسمِّين ابتعادًا هذه اللحظة بين التلال! وهل أنا أمضيتُ اليوم بين التلال أطول من بُرهة؟

مرتا : أمضيتَ النهارَ كلَّه.

لعازر : الفكرة... مجرد هذه الفكرة... نهارٌ كاملٌ بين التلال! مَنْ كان يقول؟

صمت ... ثم تخرج الأم من باب المنزل

### المشهد الخامس

مريم - مرتا - المجنون - لعازر - الأم

الأم : ولدي... حبيبي... ما أجمل أن تعود... حلّ المساء، والضباب  
يتجمّع كَوْمًا فوق التلال. خِفْتُ يا ابني عليك... خِفْتُ  
كثيرًا عليك.

المجنون : يَخْفَنَ من الضباب! والضباب بدايْتَهِنَّ والضباب نهايْتَهِنَّ!  
لعازر : صحيح... عدتُ إِلَيْكُنَّ من بين التلال. ما أتعسَ هذا! ما  
أتعسَ كلَّ هذا!

الأم : ماذا، لعازر؟ ما أتعسَ ماذا؟

لعازر : لا يَهْمُ، أمي، لا يَهْمُ.

الأم : غريبٌ كَلَامُكَ يا ابني. لا أفهم ما تقول. منذ عدتَ مُجَدِّدًا  
إلى البيت من غيابك ثلاثة أيام وأنت تتكلم بإيجازٍ غامض.  
وكلُّ ما تقوله غريبٌ عليّ.

مرتا : غريب... فعلاً!

صمت

الأم : أرى الضبابَ زاحفًا إلينا. فَلَنْتَرُكِ الحديقةَ وندخُلِ البيت.

تقترب من لعازر، تُقَبِّلُهُ بِكَأَبَةِ حنون، وتدخل.

## المشهد السادس

### مريم - مرتا - المجنون - لعازر

مرتتا: في الجوّ نسماتٌ باردةٌ بدأت تَلْفَحُنَا. فَأَاحِمِلِ النَّوْلَ  
وَالكَتَّانَ إِلَى الدَّاحِلِ.

مريم تترك مقعدها.

تدنو من لعازر تحت شجرة اللوز.

تجلس حده على العشب.

تلتفت إلى مرتتا

مريم: صحيح، أمسيات نيسان لا تُلائم نولك والكتّان.  
أأساعدك في حمل النول إلى الداخل؟

مرتتا: لا... لا... أحمّله وحدي. دوّمًا أحمّله وحدي.

مرتتا تُدخِل النول، ثم تخرج فتحمل لفّة الكتّان وتُدخلها كذلك.

## المشهد السابع مريم - المجنون - لعازر

تمر لفحة هواء تهزُّ شجرة اللوز.  
تتناثر بتلاتٌ من زهر اللوز على مريم ولعازر

لعازر: حتى الربيع يوأسينا. حتى الأشجار تبكي علينا. كلُّ ما على الأرض يُشفق علينا ويُبكيها، كلُّ ما على الأرض عليمٌ بسُقوطنا وأسانا.

مريم: لكنَّ الربيع هنا معنا. حتى لو وشَّحَه الحزن، يبقى هو الربيع. لا نتحدَّثَنَّ عن التعاسة. فلنقتبل ربيعنا وأسانا بكل امتنان. ولنتأمل بدهشة صامتين ذاك الذي وهبكَ الحياة وأسلم روحه. كفانا التحدُّث، لعازر، في التعاسة.

لعازر: التعاسة! وما أتعب أن أُقتلَع بعيدًا آلافِ آلافِ السنوات عن رغبة القلب، وآلافِ آلافِ السنوات عن شوق القلب. ما أتعب أن أعود إلى هذا الشتاء بعد آلافِ آلافِ من مواسم الربيع.

مريم: ماذا تقصد، أخي؟ لِمَ تتحدَّث عن آلافِ مواسم الربيع؟ كلُّ ما غبَّتهُ عنا ثلاثة أيام. ثلاثة أيام وميضة. لكنَّ حزننا عليك فجَّعنا أطولَ من ثلاثة أيام.

لعازر: ثلاثة أيام؟ ثلاثة قرون. ثلاثة أزمنة. الأبد كلُّه. كلُّ الأبد مع التي أحبَّتها روي قبل بدء الأزمنة.

المجنون : نعم. ثلاثة أيام. ثلاثة قرون. ثلاثة أزمنة. غريب أن تكون  
دومًا قياساتٌ وأوزان. دومًا... ساعةٌ شمسية وكفتًا ميزان.

مريم مذهولةٌ ممَّا سَمِعَتْ

مريم : ... التي أَحَبَّتها رُوحَكَ قبل بدء الأزمِنة؟ لِعازر؟ لِمَ تقول  
كلَّ هذا؟ لعلَّه حلمٌ رَأَيْته في حديقة أُخرى. نحن الآن هنا  
في حديقةتنا، على رُمِيَّة حجر من أُورشليم. هنا، نحن، هنا.  
وتعرف تمامًا، يا أخي، أَنَّ سَيِّدَنَا وهَبَكَ اليقظة وأعادَكَ  
إِلينا كي تكون معنا وتحلم بالحب والحياة. شاءَكَ تلميذًا  
وفِيًّا له، وشاهدًا حيًّا على مجده العظيم.

لِعازر : لا حلمَ هنا ولا يقظة. أَنْتِ وَأنا وهذه الحديقة، جميعنا  
وهم، نحن ظلُّ اللحظة الحقيقية. اليقظة الحقيقية  
هناك هي. هناك... حيثُ كنتُ مع حبيبتِي واللحظة  
الحقيقية.

مريم تقف مستغربة

مريم : مع حبيبتِك؟

لِعازر يقف أيضًا

لِعازر : نعم... حبيبتِي.

المجنون : نعم... نعم... حبيبتُهُ... لحظةُ المدى البكر. حبيبةُ كلِّ رجل.

مريم : ولكن... حبيبتُك... أين هي؟ و... مَنْ هي؟

لِعازر : هي توأم قلبي. سَعَيْتُ إِلَيْهَا هُنَا وَلَمْ أَنْلُهَا. حَتَّى جَاءَ الْمَوْتُ،  
هَذَا الْمَلَاكُ الْمَجْنَحُ الْقَدَمَيْنِ، ضَمَّ تَوْقِي إِلَى تَوْقِهَا، وَعَشْنَا  
مَعًا هُنَاكَ، فِي قَلْبِ الرَّبِّ. عَانَقْتُمَا وَعَانَقْتَنِي فَصِرْنَا  
وَاحِدَيْنِ، كَوَكْبًا يَشْعُ فِي وَجْهِ الشَّمْسِ، أُغْنِيَةٌ تَسْطَعُ بَيْنَ  
النُّجُومِ. كُلُّ هَذَا كَانَ، مَرِيْمَ، هَكَذَا كَانَ، وَأَجْمَلُ، إِلَى أَنْ  
كَانَ صَوْتُ، صَوْتُ هَدْرٍ مِنْ أَعْمَاقِ، صَوْتُ مِنْ هَذَا  
العَالَمِ الْأَرْضِيِّ نَادَانِي، وَكُلُّ مَا كَانَ مُوَحَّدًا مُتَّحِدًا تَبَعَتْ  
وَأَنْتَثَرْتُ. وَإِذَا آلَافُ آلَافِ السِّنِينَ مَعَ حَبِيبَتِي هُنَاكَ فِي الْمَدَى  
الْحَقِيقِيِّ، لَمْ تَدُدْ عَنِي ذَلِكَ الصَّوْتِ الَّذِي اسْتَدْعَانِي إِلَى  
العُودَةِ.

مريم تتطلع إلى فوق، إلى الفضاء

مريم : أَيْتَهَا الْمَلَايِكَةُ الْمُبَارَكَةُ، يَا حِرَاسَ سَاعَاتِنَا الصَّامِتَةِ،  
اجْعَلِينِي أَفْهَمَ مَا أَسْمَعُ، فَلَا أَكُونُ غَرِيبَةً عَلَى هَذِهِ الْأَرْضِ  
الْجَدِيدَةِ الَّتِي وَطَّئَهَا الْمَوْتُ. لِعَازِرَ، أَخِي، قُلْ بَعْدَ. قُلْ  
فَأَفْهَمَ بِقَلْبِي كَيْفَ أَتَّبِعُ مَا تَقُولُ.

المجنون : إِتَّبِعِيهِ إِنْ اسْتَطَعْتَ مِتَابَعَتَهُ، أَيْتَهَا السَّيِّدَةُ الصَّغِيرَةُ.  
وَهَلْ تَسْتَطِيعُ السَّلْحَفَاةُ أَنْ تَتَّبِعَ الْأَيْلَ ؟

لِعَازِرَ : كُنْتُ مَهْرًا صَغِيرًا، وَكُنْتُ أَبْحَثُ عَنِ الْبَحْرِ حَيْثُ حَبِيبَتِي.  
حِينَ بَلَغْتُ الْبَحْرَ حُمِلْتُ إِلَى التَّلَالِ فَوَجَدْتَنِي مِنْ جَدِيدٍ  
أَهْرُولَ بَيْنَ الصَّخُورِ. أَمْسَيْتُ لِحْنًا سَجِينًا فِي الصَّمْتِ،



أبحث عن قلب حبيبتي. وحين أطلقثني رياح السموات  
وحملتني إلى تلك الغابة الخضراء، عاد صوت فاعتقلني  
وعُدت من جديد سجينًا في الصمت. كنتُ جذرًا في التراب  
المُظلم فصرت زهرةً فعبيرًا في الفضاء ناهدًا إلى معانقة  
حبيبتي فاعتقلثني يدُ أعادتني جذرًا من جديد، جذرًا في  
التراب المظلم.

المجنون : حين أنتَ جذرٌ، تحتمي دومًا من عصف الرياح في  
الأغصان. أفضلُ لك أن تظلَّ نهرًا جاريًا حتى بعد بلوغك  
البحر. كما أفضل للمياه أن تجري صعدًا.

مريم تتكلّم وحدها

مريم : غريب! كلُّ هذا غريب...

ثم تلتفت إلى لعازر

مريم : ولكن، لعازر أخي، جميلٌ أن تكون نهرًا جاريًا، وأن تكون  
لحنًا لم يُعزَف بعد، وأن تكون جذرًا في التراب المظلم.  
المعلّم علِمَ بكل هذا وناداك تعود إلينا كي نعرف أن لا  
حجاب بين الموت والحياة. ألا تجد أنك شاهدٌ حيٌّ على  
اللاموت؟ ألا تجد كيف كلمةٌ واحدة تُقال بحُبٍّ يمكنها  
أن تجمع عناصر كان بعثرتها وهمٌ يسمّى الموت؟ صدِّقْ  
يا أخي وأمن، فلن يؤاسيك إلا الإيمان الذي وحده وعيننا  
الأعمق.

لعازر : المؤاساة! المؤاساة المضللة القاتلة! المؤاساة التي تخدع  
حواسنا وتجعلنا عبيد اللحظة الهاربة. لا أندُدُ المؤاساة  
بل أريد أن أعيش الولع، الولة، الشغف. أن أحترق في  
صقيع الفضاء مع حبيبتي، أن أطير في الفضاء اللامحدود  
مع رفيقتي، مع ذاتي الأخرى. مريم.. مريم أنت كنتِ أُختي  
ذات زمن، وتعارفنا حين حتى أقربُ أنسبائنا لم يعرفونا.  
مريم... إسمعي... أنصتي إليّ بقلبك.

مريم : قل، لعازر، قل. أنا مُنصتة.

المجنون : والعالم كله فليُنصت. ها هي السماء الآن ستخاطب  
الأرض، لكن الأرض صماء. الأرض شبه صماء كما نحن  
الآن.

لعازر : كنا في المدى، أنا وحبيبتي، وكنا المدى كله. كنا في النور،  
وكنا النور كله. رحنا ندور كما الروح الأزلي راح يدور  
فوق الغمر، وظلّ ذلك النهارُ الأوّلُ نهارًا أوّل. كنا جوهر  
الحب يبيض في قلب الصمت الأبيض. وإذا صوتٌ يُرعد،  
صوتٌ كما سهامٌ لا تحصى تخترق المدى، ويصرخ بي:  
"لعازر... تقدّم". وراح الصوت يتردّد راعدًا ثم راعدًا في  
المدى، فإذا بي مدُّ تحوّل جزرًا، بيتٌ تصدّع، ثوبٌ تشلّع،  
شبابٌ تجمّد، برجٌ انهيارٌ ومن حطام حجارتِه شُيّد شاهد.  
وعاد الصوت يُرعد: "لعازر... تقدّم". وهبطتُ من قصر  
السماء، ودخلتُ قبرًا داخل قبرٍ آخر هو هذا الجسد  
المقيّد في كهفٍ مختوم.

المجنون : يا رئيس القافلة، أين جمالك والرجال؟ هل ابتلعهم جوع الأرض؟ هل الرياح الجافة بعثرتهم في تطاير الرمال؟ لا. كلاً. إنه يسوع الناصري رفع يده، يسوع الناصري أطلق كلمة. قل لي الآن: أين جمالك؟ أين رجالك والكُنوز؟ إنها في الرمال الممحوّة الآثار... في كثبان الرمال الممحوّة الذاكرة. لكنّ الرياح الجافة ستهبّ ثانيةً وتكشف عنها. الرياح الجافة ستعود. وسوف دوّمًا تعود.

مريم : كأنّ كلّ ما سمعتُ، رؤيا في حلم على قمة جبل. لعازر، أخي، أعرفه العالم الذي زرتّه، أعرفه مع أنني لم أزره. كلّ ما قلته لي عنه غرابةٌ عابرة، قصةٌ رواها أحدٌ هناك عند طرف الوادي وأسمعها بصعوبة.

لعازر : عند طرف الوادي، هناك، كل شيء مختلف. لا أوزان هناك ولا مقاييس. هناك، ليس إلاّ أنتِ وحبيبك وحسب.

صمت

لعازر : حبيبتي... حبيبتي يا عطر المدى! يا جناحان مفتوحان إليّ! قولي... أجيبي جمود قلبي: هل تسعين إليّ؟ هل أوجعك فصلك عني؟ أكنتُ أنا أيضًا عطرًا وجناحين مفتوحين على المدى؟ قولي لي، يا حبيبتي، أكانت القسوة مضاعفةً عليك؟ وهل في العالم الآخر أخٌ للسيد ناداك من الحياة إلى الموت؟ وهل كانت لك أمٌّ وأخواتٌ وأصدقاء وجدوا

في ذلك أعجوبة؟ هل كلُّ كانت تلك القسوة المضاعفة  
على اسم البركة؟

مريم : لا، لا يا أخي، ليس إلا يسوع واحد لعالم واحد. كل ما عداه  
وهم، حتى حبيبتيك.

لعازر ينتفض بولع

لعازر : لا، أبداً. مستحيل. إذا السيد ليس حتماً فهو إذا هباء.  
إن لم يكن يعلم ما أبعد من أورشليم فهو إذا هباء. إن  
لم يعرف حبيبتي في المدى فهوليس السيد المعلم. يسوع،  
يا صديقي يسوع، أنت أنت ذات يوم أعطيتني كأس خمر  
عبر الطاولة وقلت لي: "اشرب هذا الذكري"، وبلت بالزيت  
كسرة خبز وقلت لي: "شاركني بحصتي من هذا الرغيف".  
يسوع، يا صديقي يسوع، ووضعت يدك على كتفي  
وناديتني بـ "يا بُني"، فقالت أمي وأختاي في قلوبهن: "المعلم  
يحب لعازرنا". وأنا كذلك أحببتك. ثم رحبت بعيداً. أنت  
ذهبت إلى بناء أبراج أخرى في السماء، وأنا ذهبت إلى  
حبيبتي. قل لي الآن، يا سيد، قل لي لماذا أعدتني؟ ألم  
تدرك بحدس قلبك العارف أنني كنت مع حبيبتي؟ ألم  
تلتقي بها إبان تجوالك فوق تلال لبنان؟ لا بد أنك رأيتهما في  
ضوء عيني حين خرجت ووقفت قدامك عند باب القبر.  
وأنت، ألا حبيبة لك في مدار الشمس؟ وهل ترضى أن

يأتي مَنْ هوَ أعظمُ منكَ ويفصلكَ عنها؟ وما عساكَ تقول  
بعدَ فصلِكَ عنها؟ وما عسايَ أنا أقولُ لكَ الآنَ؟  
المجنونون : أنا أيضًا أمرني بأن أعود، لكنني عصيتُ أمره فبات الناس  
يسمُوني المجنون.

مريم : لعازر؟ أأنا أيضًا لي حبيبٌ في السماء؟ هل توقي خلق  
لي كائنًا خارج هذا العالم؟ وهل عليَّ أن أموت كي أكون  
معه؟ أخي، لعازر، قل لي: هل أنا أيضًا لي رفيق؟ إن كان  
صحيحًا، ما أجمل أن أحيأ وأموت، ثم أن أحيأ من جديد  
وأموت من جديد إن كان ينتظرني حبيبٌ ليملأ كلَّ كياني  
وأملأ كلَّ كيانه.

المجنونون : لكل امرأة حبيبٌ في السماء. قلبُ كل امرأةٍ يخلق كائنًا في  
المدى.

مريم تردد العبارة هامسةً في حنان

مريم : أيكون لي حبيب في المدى؟

لعازر : لست أدري. إنما... إن كان لك حبيبٌ هو ذاك الأخرى، في  
مكان ما وزمان ما، وذهبتَ للقاءه، لن يكون أحدٌ هناك  
ليفصلكَ عنه.

المجنونون : قد يكون هنا وقد يناديها السيد لكنها، كسواها، لن  
تسمع.

لِعازر يتقدّم إلى مقدمة المسرح

لِعازر : هو الانتظار... انتظار كل فصل يأتي فيُلغي سابقه، ثم انتظارُ هذا الفصل الجديد أن يلغيه الفصلُ التالي. إنها معاينة النهاية لكل ما يكون قبل أن تأتي النهاية، نهايتك التي هي هي بدايتك الجديدة. إنه الإصغاءُ إلى جميع الأصوات وإدراكُ أنها جميعها تذوب في الصمتِ إلا صوتُ قلبك الذي قد يبكي حتى في سكون النوم.

المجنون : أبناء الرّب تزوجوا أبناء البشر، ثم طلقوهم. والآن أبناء البشر يهدون إلى أبناء الرّب. أشفق عليهم جميعاً: أبناء الرّب وأبناء البشر.

صمت...

مرتا تطل وتقف في الباب

## المشهد الثامن

مريم - المجنون - لعازر - مرتا

مرتتا : لعازر؟ لِمَ لا تدخل البيت؟ جَهَّزْتُ أُمِّي العشاء.

تبدي بعض الانزعاج

مرتتا : كلما جلستما، أَنْتَ ومريم، تأخذان في الكلام، الكلام، الكلام، ولا يفهم أَحَدٌ ما تقولان.

تبقى واقفة في الباب لحظات، صامتة، ثم تعود إلى الداخل

## المشهد التاسع مريم - المجنون - لعازر

لعازر يتكلّم وحده كأنه لم يسمع مرثا ولم يرّها  
لعازر : أواه... ضائعٌ أنا، تائهٌ، جائعٌ، عطشانٌ، هَلَّا مَدَدْتِنِي  
بكسرةٍ من رغيفٍ وجرعةٍ من خمر؟

مريم تلهف إليه وتخاصره

مريم : طبعًا، أخي، طبعًا لعازر، ولكن... فلندخل البيت، أمنا  
هيات طعام العشاء.

المجنون : هو يسأل عن رغيفٍ لا يُمكن خبزه، وعن خمرٍ لا كؤوس  
لها.

لعازر : هل... هل قلتُ إنني جائعٌ وعطشانٌ؟ كلاً. ما إلى خبزكم أنا  
جائع، ولا إلى خمركم أنا عطشان. لن أدخل بيتًا إلا متي  
امتدّت تفتح بابَه يدُ حبيبتِي. ولن أجلس إلى مائدةٍ إلا وهي  
جالسةٌ حدي.

الأم تطل من الباب



## المشهد العاشر مريم - المجنون - لعازر - الأم

الأمّ : لعازر؟ وبعد؟ لِمَ تبقى هكذا في الضباب؟ وأنتِ، مريم، لِمَ لا تدخلين البيت؟ أضأتُ الشموعَ والطعامَ ملءَ الأطباق، وأنتما هنا تلوكان كلامكم في العتمة.

لعازر : أمي تريدني أن أدخل قبرًا. تريدني أكلُ وأشربُ، وتأمُرني حتى أن أجلسَ حاسرًا بين وجوه مُحجَّبة، وأقتبلَ حركة الخلود من أيدي مشلولة، وأتلقى نبضة الحياة من مَوَاتِ كُؤوس طينية.

المجنون : أيها الطير الأبيض المحلّق جنوبًا حيث الشمس تحب جميع الكائنات، ما الذي استوقفك وسطَ الجلد؟ ومَن أعادك؟ إنه صديقك يسوع الناصري. أعادك مشفقًا على من لا أجنحة لهم كي يطيروا معك. أيها الطير الأبيض، الجوُّ صقيعٌ هنا وأنتِ ترتعش، وريحُ الشمال تسخر لاهيةً بين ريشك.

لعازر : تريدون أن تكونوا في بيت يحميه سقف. في غرفة ذات أربعة جدران وباب ونافذة، تريدون البقاء هنا وأنتم بلا رؤيا. فكركم هنا لكنّ روعي هناك. كيانكم كلُّه على وجه الأرض، وكلُّ كياني في المدى. تدبُّون داخل البيوت وأنا أطيّر فوق القمم.

مرتا تخرج من الباب وتقف عنده مصغيةً إلى كلام لعازر

## المشهد الحادي عشر مريم - المجنون - لعازر - الأم - مرتا

لعازر يواصل كلامه غير متنبّه لخروج مرتا

لعازر : جميعكم عبيدٌ، كلُّ منكم عبدُ الآخر، ولا تعبدون سوى ذواتكم. تنامون لكنكم لا تحلمون. تستيقظون ولكن لا تمشون بين التلال. أمس كنتُ تعبًا منكم ومن أنماط حياتكم، فسعيتُ إلى العالم الآخر الذي نُسمّونه الموت وأنا إن متُّ فمن شدّة شوقي. وها إني الآن أتمرّد على التي تسمونها الحياة.

مرتا : ... لكنّ المعلّم لاحظ حزننا وألمنا وأعادك إلى الحياة واستعادك إلينا، ومع ذلك تريد أن تتمرّد على الحياة؟ أواه... أيُّ ثوب هذا الذي يثور على حائكه ! أيُّ بيت هذا الذي يتمرّد على بانيه!

مريم : المعلم أحس بقلوبنا المكسورة وكان كريمًا معنا. حين لاقتُهُ أمنا ورأى في انكسار عينيها ولدها الميت مدفونًا، فاض حزنه فجمّد لحظاتٍ مغرّفًا في صمته...

صمت

مريم : ... ثم تبعناه إلى قبرك.

لعازر : صحيح. كان ذلك حزنٌ أُمي وحزنكم جميعًا. هي الشفقة،

الشفقة الشخصية التي أعادتني إلى هنا. كم أنانية هي الشفقة الشخصية، وكم ضالعة في العمق. بلى، سوف أتمرد. حتى الألوهة ذاتها يجب ألا تحوّل الربيع شتاءً. تواقًا صعّدت إلى قمم التلال، وحرزكن أعادني إلى قعر هذا الوادي. أردت أن يكون لكنّ ابن وشقيق في الحياة، وجيرانك أرادوا أعجوبة. وأننّ وجيرانك، تمامًا كما أبؤكم وأسلافكم، أردتم أعجوبة كي تؤمنوا بأبسط عناصر الحياة. ما أربّ فظاظتكم وما أقسى قلوبكم وما أشدّ العتمة في عيونكم. من أجل فرجكم تستنزلون الأنبياء عن عروش مجدهم، ثم تغتالون الأنبياء.

مرتا تواجهه بلهجة تأنيب

مرتا : أوتدعو حزننا شفقة أنانية؟ وهل تباكيك الآن إلا شفقة على ذاتك؟ إهدأ، لعازر، واقتبل الحياة التي منحك إياها المعلم وأعادك إلينا.

لعازر : المعلم لم يمنحني الحياة بل منحك حياتي. سلب حياتي من حبيبي وأعطاك إياها أعجوبة صنعها كي يفتح عيونك وأسماعك. ضحى بي تمامًا كما ضحى بحياته.

يلتفت صوب السماء

لعازر : يا أبت... إغفر لهم. لا يعون ماذا يفعلون.

مريم تنتفض بلهجة فيها بعض الرهبة

مریم : هذه كلمات المعلم معلقًا على الصليب!

لعازر : صحيح. قالها عني وعنه وعن جميع المجهولين الذين يَفْهَمُونَ ولا يُفْهَمُونَ. أَلَمْ يَقُلْ أَيضًا هذه الكلمات حين دُمُوعُكَ رَجَّتْهُ بَأَن يَعيدني إلى الحياة؟ لَمْ تَكُنْ تَلِكْ إِرَادَتَهُ بل رَغِبْتُكَ دَعَتْ رُوحَهُ أَنْ تَقِفَ على الباب المَخْتوم وتَأْمُرَ الحياة الأبدية أَنْ تُعيدني إِلَيْكَ. تَوَقُّنْ الدهرِيَّ إلى ابنِ وشقيقِي هو الذي أعادني من هناك.

الأمُّ تتقدَّم منه وتغمر بذراعها كتفيه

الأمُّ : لعازر؟ كنتَ دومًا ولدًا لطيفًا وابنًا مُطيعًا محببًا. ما الذي جرى لك؟ عُد معنا كما كنتَ وأنس كل ما يزعجُكَ.

لعازر يرفع يده

لعازر : أُمِّي وإِخوتي وأَخواتي هم الذين يُصغون إلى كلامي.

مریم : هذه أيضًا كلمات المعلم.

لعازر : صحيح. قالها عني وعنه وعن جميع مَنْ أُمَّهم الأَرْضُ وأَبُوهم الفردوس، وعن جميع من وُلدوا متحررين من أَيْ انتماءٍ إلى شعبٍ ووطنٍ وعرقٍ.

المجنون : يا قبطان سفينتي، عصفتْ بأشْرعتك الريح وتحديتْ البحر ساعيًا إلى الجزر المباركة. أَيْ رِيحٍ أُخْرَى غَيْرَتِ مسارَ إِبْحارك؟ وَلِمَ عَدْتَ إلى هذه الشواطئ هنا؟ هو يسوع

الناصرى أمر الريح بنفحة من أنفاسه عبَّأت أشرعتك  
المفرَّغة وأفرغت تلك المملأى.

لعازر، في لحظة خاطفة، ينسى كلَّ مَنْ حوله، يرفع رأسه ويفتح ذراعيه

لعازر : حبيبتي... يا حبيبتي... كان في عينيك فجرٌ كثير... وكان في  
ذاك الفجر ليلٌ غارقٌ في سره الصامت، وكان في صمته  
وعدُّ بنهار جديد، وكنتُ مكتملاً وكنتُ كُلاً. وها هي الحياة،  
يا حبيبتي، تفصل بيننا بهذا الحجاب. أَعَلَيّْ أَنْ أَحيا هذا  
الموت ثم أموتَ من جديد حتى أعودَ فأحيا؟ أَعَلَى رغباتي  
أَنْ تنتظر حتى يصفَرَ كلُّ أخضر ويعرى أيضاً ثم أيضاً؟

صمت

لعازر : أواه... أواه... لا أستطيع أَنْ أُجِدِّف على المعلم. ولكن...  
ولكن لماذا أنا، بين جميع الرجال، عليَّ أَنْ أعود من  
هناك؟ لماذا، بين جميع الرعيان، عليَّ أَنْ أعودَ إلى  
الصحراء بعدما كنتُ في خُضرة المراعي؟

المجنون : لو كنتَ ممَّن يجدِّفون، لما متَّ في عز شبابك.

لعازر : يسوع... يا يسوع الناصري... قل لِي الآن لِمَ فعلتَ ذلك  
بي؟ أَمِن العدل أَنْ أُسَجَّى حجراً متوحداً حقيراً يدلُّ  
على سطوع مجدك؟ أَيُّ ميت غيري كان يمكن أَنْ يُظهر  
مجدك. لماذا إِذَا فَصَلتَ هذا العاشق عن حبيبته؟ لماذا  
دعوْتَنِي إلى عالمٍ كنتَ تعلم في سِرِّكَ أَنْكَ مُغَادِرُهُ؟

يبدأ بالبكاء مُجْهِشًا بَتَفَجُّعٍ

لِعازر: لماذا؟ لماذا؟ قل لي لماذا؟ لِمَ دعوتني من قلب الأبدية  
النابض إلى هذا الموات النابض؟ يا يسوع... يا يسوع  
الناصرى: لا أستطيع أن أُجِدِّف... لا أستطيع أن أُجِدِّفَ  
عليك. لذا أباركُك.

صمت

يبدو لعازر كما لو ان نهرًا جَرَفَ منه قُوته.

يُحني رأسه إلى صدره.

بعد صمت عميق، يرفع رأسه مُجَدِّدًا، وبوجه مُتَحَوِّلٍ كَلِيًّا يبكي بصوت  
عريضٍ راعد

لِعازر: يسوع الناصري... يا صديقي يسوع... أنا وأنت صُلِبْنَا...  
إِغْفِرْ لِي. سامحني. إني أباركُك... من الآن وإلى الأبد!

يطل فيلبس من وراء البيت، آتِيًا من صوب التلال

## المشهد الثاني عشر

مريم - المجنون - لعازر - الأم - مرتا - فيلبس

مريم : هه... فيلبس!

فيلبس : قام! قام! المعلم قام! حقًا قام من بين الأموات... وتوجّه  
صوب الجليل!

المجنون : قام... حقًا قام... لكنه سيصَلب بعدُ آلاف المرات!

مريم : فيلبس، صديقي، ماذا تقول؟

مرتا تهرع إلى فيلبس تمسكه من ذراعه

مرتا : ما أسعد أن أراك ثانيةً. ولكن... مَنْ هو الذي قام؟ عمّن  
تحدّث؟

الأم تتقدم من فيلبس

الأم : تعال يا ابني... تعال تناوّل معنا العشاء.

فيلبس لا يتأثر بكلامهنّ

فيلبس : قلتُ إن المعلم قام من الموت وتوجّه صوب الجليل.

صمتٌ يلفُّ الجميع

لعازر : الآن... ثلاثتكنّ أصغين إليّ. إن هو قام من الموت،  
سيصلبونه مرة جديدة، إنما هذه المرة لن يصلبوه وحده.  
سوف أنادي به وسيصلبونني معه.

يستدير بغبطة ظاهرة، ويبدأ بالتَوَجُّه صوب التلال

لِعازر: أُمِّي، ويا شقيقَتِي، الذي وهَبَني الحياة سوف أَتَبِعُه حتى  
يَهَبَني الموت. بلى، أَنَا أَيضًا أُريد أَن أُصَلِّب، وصلِّبِي هناك  
سوف يُنهي صَلِّبِي هنا.

صمت

لِعازر: سأذهب الآن سعيًا إلى روحه فَأَتحرر. لو كَبَلوني بسلاسل  
الحديد لن يوثقوني. ولو تمسكتُ بثيابي أَلْفُ أُمَّ وَأَلْفُ  
أَلْفِ شقيقة لن يُمَسِّكَنِي. سوف أَتبع ربح الشرق  
أَنِّي تحملُني. وسأسعى إلى حبيبتِي عند الغروب حيث  
نهاراتنا تجدُ السكينة، وسأسعى إليها في الليالي حين تنام  
الصباحات. ومن بين جميع الرجال سأكون وحدي الذي  
عانى الحياةَ مرتين والموتَ مرتين، ومرتين عرف الأبدية.

لِعازر يتأمل في وجه أُمه

ثم في وجهي شقيقتيه

ثم في وجه فيلبس

ثم في وجه أُمه مُجَدِّدًا

وبِمَشِيَّةٍ مَن يسير في نومه، يستدير ويمضي مسرعًا صوب التلال.

وفيما يختفي في البعيد يعمُّ الجميع دُهول

الأُمُّ: ولدي... لِعازر... بُي...

مريم: أخي... لِعازر... إلى أين تبتعد؟ تعال... لِعازر... عُدْ إلينا...



مرتا تتمتم وحدها

مرتا : العتمة شديدة... حتمًا سيضلُّ طريقه...

الأمُّ في نحيب مؤلم

الأمُّ : لعازر... يا ولدي، حبيبي... إلى أين تَمْضي؟

فيلبُّس : يَمْضي إلى حيث جميعنا سنمضي. وهو لن يعود.

الأمُّ تذهب إلى زاوية البيت من حيث مرَّ لعازر واختفى، وتناديه في صراخها المفجوع

الأمُّ : لعازر... يا ابني الحبيب... عُدْ إلى قلب أمِّك...

صمت... تختفي خطوات لعازر مع ابتعاده

المجنون : ها هو ذَهَب. بات أبعدَ من اللحاق به. فَلْيَبْحَثْ حُزْنُكُنَّ الآن عن ابنٍ وشقيقٍ آخَر.

صمت

المجنون : لعازر... مسكين لعازر... أوَّلُ الشهداء وأعظمهم جميعًا.

# الأعمى

جِوَارِيَّةٌ مِنْ فَصْلِ وَاحِدٍ فِي ٩ مَشَاهِدٍ

## أشخاص الحوارية

ديفيد : الأعمى. موسيقى في الثلاثين

هيلن : زوجة ديفيد. تخطت الأربعين

أنا : ابنة هيلن من زواج سابق

كنغدن : عشيق هيلن

المجنون

المكان : الطبقة الأرضية من بيت ديفيد

- غرفة استقبالٍ واسعة، في زاويتها مكتبة

الوقت : بعد الساعة ١١،٠٠ ليلاً من كانون الثاني.

في الخارج عاصفةٌ ثلجية

## المشهد الأول الأعمى - أنا - المجنون

مع ارتفاع الستارة : المجنون يتوجّه إلى مقعدٍ في زاوية المسرح  
حدّ الموقدة ويجلس،  
في وسط المسرح : الأعمى وأنا جالسان على كنبّة عريضة،  
أنا تقرأ للأعمى قصيدةً بصوت مرتفع.  
وحين تنتهي من القراءة:

أنا : آه، أبي، لا أحسن قراءة هذه القصيدة كما تقرأها أنت.  
هي أجمل حين أنت تقرأها.

ديفيد يعيد إلقاء المقطع الأخير من القصيدة  
صمت طويل بينهما يُتيح سماع العاصفة الثلجية في الخارج

أنا : أقرأ، أبي، قصيدةً أخرى؟

ديفيد : لا، يا غاليتي، يكفيك الليلة. أحسُّك تعبى.

أنا : لا يا أبي لستُ تعبى. لا أتعبُ أبدًا حين أقرأ لك. خلّني برههً  
بعدُ معك.

ديفيد يسحب من جيبه ساعة يد، يتحسسها بأنامله

ديفيد : لا يا أنا، الوقت متأخرٌ أطولٌ مما تظنين. إن لم تصعدي  
إلى النوم ستغضبُ أمُّك عليكِ وعليّ.

أنا : ما زالت أمي تعاملني كطفلة. لم تع بعدُ أنني بتُّ امرأةً مثلها.  
لا تفهمني أمي. لا تفهمني.

ديفيد : وأبوك ؟

آنا : أنت ؟ أنتَ دومًا تفهمني يا أبي.

ديفيد بعد برهة صمت معبرة

ديفيد : ليتني كنتُ أبالكِ يا آنا.

المجنون : تدعوه أباهَا مع أنه ابنُ قلبها. كلُّ رجلٍ هو ابنُ المرأة التي تُحبُّه.

آنا تغمره بذراعها

آنا : ولكنك... ولكنك أبي. أرجوك... قل لي إنك أبي. طفلةٌ كنتُ حين تزوجتُ أمي. لا أتذكرُ زوجها الأول. أقصدُ زوجها والدي.

ديفيد بعد لحظة كآبة

ديفيد : أعرف يا صغيرتي، أعرف. أتمنى لو كنتِ ابنتي آنا. الأعمى يحتاج ابنةً تكون ابنته هو، ترى عنه بعينها، تقرأ له حين أطرافُ أنامله تتعب من تحسُّس الأحرف النافرة، وتُنهكُ عيناه من شدة العتمة.

آنا : أنت أكيدًا لا تقول هذا لتجرحني. تعرف أنني أحبُّك أكثرَ من أيِّ آخر في الدنيا. تعرف أنك والدُ قلبي، وتعرف أنني لن أبتعد عنك ما حييت. أتذكرُ ما الذي في الصيف الماضي أفرحنا كثيرًا عند قراءتنا قصيدةً مطلعها:

"أنتِ أمامَ الربِّ ابنهُ قلبي وروحي، وإن لستِ من صُلبِي،  
ففي عروقكِ يَسري نَفْسٌ أَعلى وأغنى من سائلِ الياقوتِ؟"  
ديفيد : أَذْكَر. طَبَعًا أَذْكَر.

صمت قصير

ديفيد : ... أَذْكَر. وأَعرف يا صغيرتي كم تحبينني وكيف. تُحِبِّينني  
لأنني أحتاجُكِ، ولأنني أَعى.

أَنَا فِي انْفِعَالٍ بُكَاءٍ

أَنَا : لا، أَبِي، كَلَّا، أَبَدًا. أُحِبُّكَ لِأَنِّي أَنَا أحتاجُكِ. أُحِبُّكَ لِأَنَّكَ  
الوحيد غيرُ الأَعى بين جميع البشر.

المجنون : لوالتقى النسروالدودة وتحدَّثتا عَمَّا يَرَيَان، لكان كلُّ منهما  
اتَّهَمَ الأخرَ بالأَعى.

ديفيد : باركتكِ السماء يا غاليتي.

صمت قصير

ديفيد : فَلنَتَوَقَّفِ الآنَ عن الكلام. الوقت متأخَّر. إصْغِدِي إلي  
غرفتكِ. إِنما، قَبْل، تعالي أمامي كي أرى وجهكِ.

أَنَا تَقْتَعِد الأَرْضَ وتُدِير وجهها صوبه

ديفيد يأخذ وجهها بين كَفِيهِ بِحَنانٍ، وَيَتَلَمَّسُهُ بِأَنامِلِ راعِشَةٍ من إِحساس

ديفيد : وجهكِ... آه وجهكِ! الوجهُ الوحيد الذي رأيتُه منذ صرت  
أَعى. الوجهُ الوحيد الذي أراه بِأَناملي. وهو وجهٌ جميل...  
بِهَيِّ!

يدسُ أنامله في شعرها

ديفيد : شَعْرُكَ ... هذا الشعر الناعم الكثيف ... وال... والذهبيّ. نعم.  
أرى بوضوحٍ كم هو ذهبيّ!

صمت طويلاً بينهما، فيما أنامله مستريحة في شعرها

آنا : أبي، أصغ جيداً إليّ. أريد أن أبوح لك بسرٍ خاص.

ديفيد : أصغي.

آنا : أبي، أنا تدرّبتُ على أن أرى بأناملي. أخذتُ كتُبَكَ إلى  
غرفتي، فوق، كتُبَكَ التي بالأحرف النافرة، وتعلّمتُ كيف  
أقرأ فيها، فبتُّ أقرأ أسطرها في العتمة. أبي، أرجوك، لا  
تُخبرُ أمي. لن تفهمَ رغبتِي في أن أشعر بما تشعر أنتُ به،  
وفي إرادتي أن أكونَ مثلك، أن أعيش داخلَ عالمِكَ. أظنُّكَ  
لا تمنع في دخوليَ عالمِكَ.

صمت قصير يبدو فيه ديفيد شديد التأثر

آنا : ... وهل ... هل لي بعدُ أن أزيد؟

ديفيد يخبئُ وجهه بكفّيه

ديفيد : قولي آنا، قولي بعد.

آنا : قبل أيام، حين ذهبتُ إلى احتفالِ باربِرة بعيد ميلادها  
– وباربره، بالمناسبة، تحب موسيقاك – كانت عندها  
سِتُّ رفيقات. تسلّينا تلك السهرة بلُعبِ عدّة. وتعرف  
أنت لُعبَ البنات. ثم فجأةً خطرت لي أن أخترع لهنّ لُعبةً

جديدة، لعبةً... هي... ليست لعبةً بقدرِما هي... كيف...  
كيف أُسمّيها... بقدرِما هي صلاة. لذا...

تتردّد قليلاً

ديفيد : أكملّي، أنا، أكملّي.

أنا : لذا... عصبتُ عينيّ، وسألتُ البنات أن تأتي كلُّ واحدةٍ  
بدورها وتجلسَ حدّي، كما أنا الآن جالسة حدّك. فعَلَنْ  
ذلك، وتواصلتُ للعبة بصمت تامّ. ولمّا تأتي إحداهنّ  
كنتُ ألمِسُ بأناملي وجهها، بدءًا من الجبين، فالعينين،  
فالخدين، فالشفَتين، فالذقن، وكنتُ فورًا أعرف مَنْ  
هي، حتى عرفتهنّ جميعًا بلا أيّ استثناء.

ديفيد : يا ولدي أنتِ... يا ابنة قلبي!

أنا : ثم، أبي، ما هكذا فقط كانت اللعبة. كان فيها ما هو  
أجمل، أروع، ما لم يلامس أناملي وحدها بل لامس قلبي  
إحساسًا وأنا أتحمّس وجوههنّ فأراهنّ في عتمة عينيّ.

تبدو بوضوح إشراقة في عينيها وهي تُكمل

أنا : لم أشعر مرّةً بهذا الإحساس الحلو اللذيذ الحنون. بعد  
تلك اللعبة شعرتُ أنني أحببتُ تلك الفتيات أكثرَ آلاف  
المرات مما كنتُ قبلاً أحبهنّ. وشعرتُ أنهنّ أيضًا يحببنني  
كذلك أكثر. غريبًا كان ذلك الإحساس ولذيذًا.



صمت قصير

أَنَا : تلك السهرة، فهمتُ للمرة الأولى كم أنت رائع. وأحسستُ  
في سِرِّي أَنَّ البناتِ أَيْضًا عَرَفُنَكَ وَأَحْبَبُنَكَ مثلي. وحين  
نَزَعْنَا العُصْبَةَ عن عَيْنِي، تَأَمَّلْتُ في وجوههنَّ فَإِذَا هي  
اِخْتَلَفَتْ. كُنْتُ كَأَنَّ لَمْ أَكُنْ في حِلْمٍ بل في رُؤْيَاهُ البعيدة.  
بعدذاك انصرفنا عن اللعب، وعُدنا إلى جِلْسَتِنَا، وتحدَّثنا  
بُهْدوءٍ في شُؤُونٍ أُخْرَى. كنا كسبع شقيقاتٍ يَتَنَافَسْنَ على  
مَنْ بَيْنَهُنَّ تَكُونُ الأُمُّ.

صمت طويل

ثم يأخذ ديفيد يدَ أَنَا وَيَبُوسُهَا

ديفيد : يا ولدي... يا غاليتي... كم كان الربُّ كريمًا معي حين حرمني  
من بَصَرِي إِنَّمَا وَهَبَنِي إِيَاكَ.

أَنَا تنهض عن الأرض وتجلس حدَّ ديفيد على الكنبِ العريضة

أَنَا : ... بل كان الربُّ كريمًا معي أَنَا حين وَهَبَنِي إِيَاكَ.

ديفيد يَبُوسُ جَبِيئَهَا

ثم يأخذ كَفَّهَا وَيَفْرُكُ بِأَطْرَافِ أَنَامِلِهَا عَيْنَيْهِ الْمُطْفَأَتَيْنِ

ديفيد : أيتها العذبةُ الرائعة... يا صغيرتي أَنَا.

صمت طويل بينهما

تدخل هِلْنُ

## المشهد الثاني ديفيد - آنا - المجنون - هِلن

هِلنُ تتفرّس لحظةً في ديفيد وأنا  
واضحةُ التوتر والاضطراب إنما تحاول ألا يظهرًا على وجهها  
تمشي في القاعة بخطواتٍ متعاكسةٍ ملتفتةً مرةً أو اثنتين إلى ديفيد وأنا  
آنا : هه... هذه أمي.

هِلنُ تجيب بلهجةٍ قاسيةٍ خشنة

هِلنُ : نعم، هذه أنا.

ديفيد : الوقت متأخر، هِلنُ، هاه؟

هِلنُ : نعم، الوقت متأخر.

تلفتت إلى آنا

هِلنُ : هلمّي إلى فوق. لا أفهم لماذا أنتِ هنا حتى هذه الساعة  
المتأخرة. لِمَ لا تصعدين إلى النوم؟

ديفيد : ما زال الثلج، هِلنُ، ينهمر في الخارج، هاه؟

هِلنُ : نعم، ما زال، وتشتدُّ العاصفة. إذا استمرّت هكذا طوال  
الليل، لا خروج غدًا من هذا البيت.

المجنون : ...لكمها عاصفةٌ عادلة. ستقصف الأغصان المتعقّنة،  
وتدفن في تراب الغابة كلّ موات.

هَلِنْ تَتَوَجَّهْ إِلَى النَافِذَةِ. تَنْظُرُ مَلِيًّا إِلَى الْخَارِجِ  
ثُمَّ تَسْتَدِيرُ فَجَاءَتْ وَتَنْظُرُ إِلَى دَيْقِيدٍ وَأَنَا بَضِيقُ نَفْسٍ وَنَفَادَ صَبْرٍ

ديقيد : العاصفة الثلجية تعطيني دوماً معني السكون. حين ينهمر  
الثلج أسمع الأصوات أوضح.

هَلِنْ : أَعْرِفُ، أَعْرِفُ. سَمِعْتُكَ مِنْ قَبْلُ تَقُولُ هَذَا. رَدَّدْتَهُ مَرَارًا  
حَتَّى بَاتَ تَرْدِيدُكَ إِيَّاهُ يُزْعِجُنِي.

أَنَا : أُوهُ، أُمِّي، كَيْفَ تَقُولِينَ هَذَا؟ الثَّلَجُ الْمُنْهَمِرُ يُعْطِي دَوْمًا  
شَعُورَ السُّكُونِ.

تَتَفَرَّسُ فِيَّ أَنَا وَتُجِيبُنِي بِغَضَبٍ

هَلِنْ : كِفَاكُ هُرَاءً. تَقُولِينِيهِ كَيْ تَبْدِي ذَكِيَّةً. الْبَبْغَاءُ لَمْ تَكُ يَوْمًا  
ذَكِيَّةً.

صمت متوتر

هَلِنْ : كَفَانَا الْآنَ مِنْ هَذَا الْحَدِيثِ. إِصْعَدِي إِلَى غُرْفَتِكَ. تَأَخَّرَ  
الْوَقْتُ. سَأَتَفَقَّدُ الْبَابَ وَالنَّوَاغِذَ، وَأَهْتَمُّ بِنَارِ الْمَوْقِدَةِ.

ديقيد : لَمْ أَنْتَبِهْ لِلْوَقْتِ تَأَخَّرَ. كَانَتْ أَنَا تَقْرَأُ لِي، حَتَّى أَنَا لَمْ نَتَنَبَّهْ  
لِلْوَقْتِ يَنْقُضِي.

يَسْتَدِيرُ إِلَى أَنَا حَذَّه. يَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهَا

ديقيد : إِصْعَدِي، حَبِيبَتِي، إِصْعَدِي إِلَى غُرْفَتِكَ. نَامِي بِهَدْوٍ،  
وَعَيْشِي أَحْلَامُكَ الْجَمِيلَةَ. أَنَا أَيْضًا سَأَصْعَدُ إِلَى غُرْفَتِي.

آنَا تَقْف، تَسْتَدِير صَوْبَهُ بِحَنَانٍ، وَتَبُوسُ حَاجِبَهُ

آنَا : لَيْلَةٌ سَعِيدَةٌ، أَبِي.

ثُمَّ تَلْتَفِتُ إِلَى أُمِّهَا وَتَقُولُ لَهَا بِصَوْتٍ عَارٍ مِنَ الْحَنَانِ

آنَا : لَيْلَةٌ سَعِيدَةٌ، أُمِّي.

هَلِنْ تَجِيهًا بِلَهْجَةٍ حَيَادِيَّةٍ

هَلِنْ : لَيْلَةٌ سَعِيدَةٌ.

آنَا تَتَوَجَّهُ بِبُطْءٍ إِلَى السُّلَمِ،

تَلْتَفِتُ مَرَّةً أَوْ اثْنَتَيْنِ إِلَى وَجْهِ دَيْفِيدٍ

دَيْفِيدٍ يَتَّبَعُ، بِعَيْنَيْهِ الْمُطْفَأَتَيْنِ، خَطَوَاتَهَا تَصْعَدُ السُّلَمَ

## المشهد الثالث

### ديفيد - هِلِن - المجنون

هِلِن تمشي في الغرفة بخطوات متوترة

هِلِن : أَيْ عاصفةٍ هذه! أَيْ عاصفةٍ مجنونة!

صمت

ديفيد : هِلِن، كأنكِ الليلة متوتّرة، هاه؟ تَدْرعين هذه الغرفة  
تكرارًا بغرابة.

هِلِن تتجمّد مكانها

هِلِن : أبدًا. لستُ متوتّرة. بل أنا هادئةٌ كَلِيًّا. ألا تحس كم أنا  
هادئة؟ ظننتُ أنك تسمع كلَّ حركة.

ديفيد يجيبها بكل هدوء

ديفيد : كلَّ حركة؟ لا. ما كلَّ حركة. أسمع فقط بعض الهمس في  
العتمة. هسيسًا من الهمس فقط.

المجنون : وما الأجدُر من الهمس للإنصات؟ وحدَه الهمس يبلغ  
السَّماع.

يقف ديفيد. يتوجه نحو قاعدة السُّلم

هِلِن تُبدي يديها وذراعيها حركة ارتياح وخلاص

ديفيد يصعد السُّلم بِبُطء

ديفيد : ليلة سعيدة، هِلنْ.

هِلنْ : ليلة سعيدة.

وبلهجة ذات معنى واضح

هِلنْ : أتمنى لك نومًا سعيدًا وعميبييًّا.

## المشهد الرابع هَلِنُ - المَجْنُونُ

المجنون : مَنْ يُمكنه النومُ في ليلةٍ ذُعر؟ مَنْ يَستريحُ بأمانٍ بين فَكِّي  
بُرْكان؟ مَنْ يُغمِضُ عَينَيه وعلى جفنيهِ شوْك؟

حين يبلغ ديشيد أعلى السُّلم ويدخل،  
تَبْدُر من هَلِنُ حركةُ ارتياح  
تتوجَّه إلى النافذة. تفتحها. تتطلع إلى الخارج  
تتفرَّس في مكان معيَّن، تتساقط على وجهها حُبَّبات الثلج  
تبدو أنها لم تَرَ أَحَدًا. تُقفل النافذة. تتطلَّع إلى ساعة الحائط  
تجد عقريتها قُبيل منتصف الليل. تعود تذرع الغرفة متوترة

المجنون : بَعْدُ، بَعْدُ، اذري الغرفة بَعْدُ، سيدتي الجميلة. أَمَامِك  
مكانٌ ستبُلغينَه، ثم تعبرينه إلى مكانٍ آخر.

هنا تَعلِنُ الساعة منتصف الليل  
هَلِنُ تهرع فوراً إلى إشعال ثلاث شمعات  
تضعها على طاولة عند النافذة

المجنون : هي المنارة التي تَهْدِي السُفُن التائهة في العاصفة

صمت طويل  
هَلِنُ ملتفتة صوب الباب تُنصتُ إلى أقلِّ حركةٍ أو صوت  
تَسْمع الباب الخارجي يفتح بهدوءٍ وحَدَرٍ  
ثم ترى الباب الداخلي يفتح  
العشيق كِنْعُدُنْ يدخل

## المشهد الخامس

### هَلِنُ - المَجْنُونُ - العَشِيقُ

هَلِنُ تهرع إليه، تنفض عنه الثلج المتراكم عليه

هَلِنُ : حبيبي، حبيبي... وصلت أخيرًا.

يجيئها بشبه همس

العشيق : طويلًا طويلًا تَمَطَّى بقائي في الخارج تحت هذا الثلج. خلْتُ  
لن ينتصفَ الليل هذه الليلة.

يتوجّه إلى زاوية القاعة

ينزع معطفه وقبّعتَه وشالَ عُنُقَه، يعلّقها

يقفل وراءه الباب الداخلي ويتوجّه إلى وسط القاعة

العشيق : كاد الثلجُ يَطْمُرُنِي. خلْتُ أن سيَطُلُ الفجر قبل أن أرى  
الشمعاتِ مضاءَةً عند النافذة.

هَلِنُ تخاصره حتى الكنبة العريضة وتجلس حده

هَلِنُ : يا حبيبي أنت. تتصوّر حتمًا بأيّ حالةٍ كُنْتُ: أنتَ في الخارج  
وسَط العاصفة وأنا هنا وسَط هذين المخلوقين. أوه،  
حبيبي، لم أعد أستطيع أيّ صبرٍ. لم أعد أحتمل. كفاني،  
كفاني.

العشيق : صوتك، هَلِنُ، أخفِضي صوتك. قد يسمعونك من فوق.  
تكلمي همسًا.



هَلِنْ تَتَذَكَّرْ [وَتَسْمَعْ] مَاذَا قَالَ دَبْقِيدَ عَنِ إِمْكَانِ سَمَاعِهِ الْهَمْسِ  
تُكْمَلُ هَمْسًا

هَلِنْ : آهٍ لَمْ يَعْذُ يُمَكِّنُنِي الْهَمْسُ. لَا أُرِيدُ أَنْ أَتَكَلَّمَ هَمْسًا. أُرِيدُ أَنْ  
أَصْرُخَ. أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ جَهْرًا. إِنْ لَمْ أَصْرُخْ أَخْتَنُقُ.

العشيق : أَعْرِفْ، أَعْرِفْ. إِنَّمَا.. عَلَيْكَ بِالصَّبْرِ.

هَلِنْ : الصَّبْرُ، الصَّبْرُ، السَّمَكَةُ الْمَجْلُدَةُ الْمَيْتَةُ. وَعَلَى مَنْ أَصْبِرُ؟  
عَلَى مَنْ؟

تَقْبَلُهُ بِشَغْفٍ

هَلِنْ : حَبِيبِي ... حَبِيبِي ... أَلَمْ نَصْبِرْ كَفَايَةً؟ أَلَمْ نَنْتَظِرْ طَوِيلًا؟

العشيق : وَمَاذَا أَمَانَا غَيْرُ أَنْ نَنْتَظِرُ؟

تَنْتَصِبُ أَمَامَهُ وَتُجِيبُهُ بَوْلَعٍ

هَلِنْ : وَلَمْ عَلَيْنَا أَنْ نَنْتَظِرَ؟ وَلَأَيِّ عُدْرٍ؟ أَنْتَ لَا تَعْرِفُ. لَا تُحْسِنُ. لَا  
تَشْعُرُ بِوَضْعِي فِي هَذَا الْبَيْتِ.

تَلْوِي يَدَيْهَا غَضَبًا وَحَسْرَةً

هَلِنْ : إِسْمَعْ. أَصْغِ جَيِّدًا. أَنَا أَعِيشُ فِي بَيْتِ أَعْمَى. كُلُّ مَا فِيهِ  
أَعْمَى. كُلُّ مَنْ فِيهِ أَعْمَى. حَتَّى ابْنَتِي، مِنْ لَحْمِي وَدَمِي، بَاتَتْ  
عَمِيَاءَ. تَتَصَرَّفُ كَلِيًّا مِثْلَهُ. تَتَجَوَّلُ فِي الْبَيْتِ مَتَحَبِّسَةً  
أَطْرَافَ الطَّاوَلَاتِ وَالْكَرَاسِي وَالْمَقَاعِدِ كَمَا لَوْ أَنَّهَا فَقَدَتْ  
الْبَصَرَ. تَتَكَلَّمُ كَأَنَّهَا عَمِيَاءَ. وَأَحْيَانًا إِخَالَ صَوْتَهَا طَالِعًا مِنْ

عتمة عينيها. وحين تكون معه تتعمد ألا تذكر عبارات  
الظلال أو الألوان، بل كلماتٍ عن الأصوات أو الموسيقى  
أو اللمس أو الرائحة.

تقلد طريقة آنا في التكلم

هَلينُ : أوه... أوه... أكرهها. أكرهها. أكرهها معًا. أكره العالم  
الذي يعيشان فيه. هذا ليس عالمًا. هذه ليست حياة.  
هذا ضباب، حلمٌ أسودٌ ليس واقعًا. لم أعد أحتمل كلَّ  
هذا... ولا حتى يومًا واحدًا. سأجنُّ. سأجنُّ إن عشتُ هنا  
يومًا واحدًا بعد.

تستدير وتغمره بذراعيها

هَلينُ : حبيبي... خذني معك... أخرجني من هذه العتمة. حرّزني  
من هذا السجن. تعال نهرب.

العشيق : ولكن... كيف؟ كيف، هَلينُ، أخرجك من هنا؟ وإلى أين  
نهرب؟ مهلاً. إهدأي. لا يمكننا بهذه السهولة أن نغادر. ما  
سيقول الناس عنا؟

هَلينُ : لا آبه لما يقول عنا الناس. لا يهمني قولٌ ولا يهمني أحد.  
أنت من يهمني، وحبُّنا، أنا وأنت.

ثم... ما الذي سيقولونه؟ "هَلينُ هربت وتركت زوجها  
الأعمى؟" سأجيبهم: "هَلينُ تركته لأنه انصرف عنها إلى  
ابنتها".

المجنون : أنت من قبلِ هذا اليوم خارج البيت، سيدتي الجميلة.  
أنت تدعين زوراً أنك في هذا البيت.

العشيق : قد يقولون مثلاً: "الصبا يسعى إلى الصبا". أو أنك تسعين  
إلى الزواج من شابٍّ أصغر منك.

يتوقف فجأةً عن الكلام... وبعدُ برهة يواصل

العشيق : أوه، هِلنْ. أعتذر. سامحيني على ما قلت. أنا ... أنا أردد ما  
قد يقول الناس.

هِلنْ تنتصب واقفة

هِلنْ : أنت ؟ وأنت أيضاً تردّد هذا ؟ كيف تجرؤ ؟ أنا أصغر منهم  
ومنهنّ جميعاً. أنا أصغر حتى من ابنتي. هي المُسنّة. هي وهو  
مُسنّان. هما مثلُ شخصيّتين في رواية قديمة، يتحركان  
داخلَ الكتاب لا داخلَ البيت. ويتحركان بطيئين. يتكلّمان  
بطيئين. كلُّ ما يقومان به بطيءٌ وعتيق. حبيبي ... حبيبي ...  
أنت من يعرفُ أكثر من كل الناس أنني ما زلت صبيّة. وأنت  
تعرف جيّداً شعلة النار بي. تعرفني أنت. تعرفني تماماً.

يقف ويغمرها

العشيق : أعرف، حبيبتي، أنا أعرف. كثيراً أعرف. لكنني أفكّر  
بك، ولا أريدُ أن أكون مُسبباً متاعبٍ لك. ثم ... هِلنْ ...  
الأهمُّ من كل هذا: لا نريد أن نقع في فضيحة. كنتُ  
أفكّر أننا لو...

يتوقّف فجأةً عن الكلام. يُصغي منصتًا  
يتبادلان نظراتٍ خائفةً باستفهام  
يوصل كلامه بهمسٍ وحذر

العشيق : أتسمعين وقع خطوات ؟

يتجمّد مترقبًا عميق الإنصات  
وَقَعُ الخَطَوَاتِ فِي الطَّبَقَةِ العُلْيَا يقترب، وَيُسْمَعُ وَاضِحًا أَكْثَرَ فَأَكْثَرَ  
هَلِنٌ تخاطبه بهمسٍ. تضع يدها على فمه  
تومئ له أَنْ يترجع إلى زاوية القاعة حيثُ تتكدّس صناديق كُتُب

هَلِنٌ : إنه هو... الأعمى.

يتراجع إلى الزاوية على رؤوس أصابعه  
وَقَعُ الخَطَوَاتِ، فَوْقَ، يقترب من قمة السُّلَّمِ  
هَلِنٌ متجمّدة وسط الغرفة، متوترة، مضطربة، عدوانية، كأنها في موقف  
دفاع يظهر ديفيد في أعلى السُّلَّمِ

## المشهد السادس

### هَلِينُ - العَشِيقُ - المَجْنُونُ - دِيقِيدُ

ديقيد ينزل السُّلْمَ بطيئًا. ومع كل درجة كأنه يدوس على أعصاب هَلِينُ  
بعد نزوله أربع درجات، يتوقَّف برهة

ديقيد : هَلِينُ ؟ أَنْتِ هُنَا ؟

هَلِينُ : نعم... أنا هنا. ماذا تريد ؟ لماذا تعود من فوق ؟

ديقيد يكمل نزوله، ويتوقَّف في أسفل السُّلْمِ

ديقيد : لماذا أعود من فوق ؟

يعيد السُّؤَالَ كما يتساءل وحده

ديقيد : لماذا أعود من فوق ؟

يرفع يده إلى رأسه كي يتذكَّر

ديقيد : آ... تذكَّرت...

يتقدَّم بضع خطواتٍ نحو صناديق الكتب

لكنه يتوقف فجأةً ولا يكمل صوب الصناديق

يستدير ويتقدم إلى الكنبِة العريضة ويجلس حيث كان يجلس العَشِيقُ

يتحسس بكفِّ يده مقعد الكنبِة كأنه يبحث عن ضائع

هَلِينُ تتوتَّر وتخطبه بنزق

هَلِينُ : ما بك، ديقيد؟ لماذا عدت من فوق؟ ماذا تريد؟ كيف

أُساعدك؟

ديفيد يُكمل تَحْسُسَهُ مقعدَ الكنبَة

ديفيد : لا... لا تُمكنكِ مساعدتي.

يقف، يضع يده على عينيّه لبضع لحظات  
حين يعيد يده عن وجهه تبدو على عينيه المُطفأَتين تعابيرٌ  
مختلفة

يبادر هِلِنٌ بصوت عريض

ديفيد : هِلِنٌ؟ هل نحن وُحَدنا هنا؟ أنتِ وأنا فقط؟

هِلِنٌ : وُحَدنا؟ طبعًا وُحَدنا. ماذا تقصد؟

يُجيب النظر في القاعة

ديفيد : غريب! غريبٌ كلُّ هذا!

هِلِنٌ : ما الغريب؟ وأيُّ هذا؟

يلتفت ديفيد مجددًا صوب صناديق الكتب حيث يقف العشيق  
تومٌ هِلِنٌ لعشيقها أن يَحيد بِبُطءٍ فيَحيد

هِلِنٌ : أسألكُ أجب: ما الغريبُ في كل هذا؟ ماذا تريد؟

ديفيد يقترب من صناديق الكتب

ديفيد : أإلى هذا الحد تَقْلِقين لتعرفي ماذا أريد؟ نزلتُ إلى هنا كي  
أخذَ أحدثَ كتابٍ أَصْدَرْتَهُ جمعية العميان. نسيْتُ أن  
أخذه معي إلى فوق. أَظُنُّني أَجْدُه بلمسِه هنا، إلا إذا كانت  
أنا أَخَذْتُهُ معها إلى سريرها فوق.

هَلِنْ تَنْفَجِرْ غَاظِبَةً

هَلِنْ : ولماذا، بِرَبِّ السَّمَوَاتِ، تَأْخُذُ آنَا كِتَابَ الْعَمِيَانِ إِلَى سِرِيرِهَا؟

ديفيد لا يجيب. يتقدم أكثر إلى صناديق الكتب

المجنون : ... لكي تتعلّم لغة العتمة، يا سيدتي الجميلة. ففي تلك اللغة، كلُّ كلمةٍ نَجْمَةٌ، وما سوى الربِّ يَصُوغُ عباراتها.

ديفيد يصل إلى الصناديق. يتحسّس الكتب. يسحب منها واحدًا يعود إلى وَسَطِ القاعة، يضع الكتاب على الطاولة، ويستكين لحظات

ديفيد : هَلِنْ ؟ قلتِ إننا وُحِدْنَا في هذه القاعة ؟ وُحِدْنَا أَنْتِ وَأَنَا ؟ هَلِنْ : ... وما هذا السُّؤَالُ السَّخِيفُ ؟ سَأَلْتَنِي وَأَجَبْتُكَ أَنَا وَحِدْنَا. وَمَنْ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَعَنَا ؟

ديفيد : تقولين إننا وُحِدْنَا، إِذَا هَذَا الْبَيْتُ مَسْكُونٌ. أَحْسُ كَأَنَّ أَحَدًا مَعَنَا هُنَا فِي هَذِهِ الْقَاعَةِ. وَمَعَ ذَلِكَ تَقُولِينَ إِنَّا وَحِدْنَا.

يتفرّس بعينه المُطْفَأَتَيْنِ صُوبَ الْعَشِيقِ

ديفيد : مَرِيبٌ هَذَا الْإِحْسَاسُ بِشَخْصٍ ثَالِثٍ مَعَنَا.

صمت

ديفيد : هَلِنْ ؟ هل تُؤْمِنِينَ بِوُجُودِ الْأَشْبَاحِ ؟

صمت

ديفيد : غريبٌ كيف على الإنسان أن يموت قبل أن يتحوَّلَ شبحًا في بيت. إنه النوم الحيّ بسلام.

المجنون : أَلَمْ تَكُنْ تدري، يا حارس لياليّ، أن المَوْتى فقط أشباحُ الليل؟

هَلِنْ تتقدَّم من ديفيد.

تتعَمَّد اللطف، وتخاطبه بصوت مختلف مصطنع

هَلِنْ : آ... ديفيد... حبيبي... تبدو متعبًا... إصعد إلى سريرك واسترح... هوذا كتابك. عُد إلى غرفتك واهنأ بنوم طويل عميق مريح.

ديفيد : صحيح، أعتقد أنني مُتعب.

يُبعِدُها عنه فجأةً بقوة، ويصغي إلى صوت العاصفة في الخارج

ديفيد : هَلِنْ... أنا واثق أن العاصفة سافت إلى بيتنا روح شبحٍ تائه. مسكين هذا الروح. ماذا يمكننا أن نفعَل لأجله؟ إن كان بردان، لا يمكننا أن نُؤويه. إن كان جائعًا، لا يمكننا أن نقيته. الجسد ينادي الجسد، هَلِنْ، والبشر يمكنهم دومًا أن يساعدوا البشر. ولكن... كيف يمكن أن يساعد روحًا ضائعًا تائمًا في العاصفة الثلجية؟ مسكينةٌ هذه الأرواح. مسكينةٌ هذه الأشباح.

هَلِنْ تحاول أن تكبَّت غيظها



هَلِنُ : غَرِيبٌ كَلَامُكَ ، دَيْقِيدٌ . أَوْقِفْ كُلَّ هَذَا الْهَرَاءِ عَنِ الْأَشْبَاحِ  
وَالْأَرْوَاحِ . تَأَخَّرَ الْوَقْتُ وَبَتْنَا بَعْدَ مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ . قُلْتُ لَكَ  
إِنِّي أُرِيدُ الْبَقَاءَ وَحَدِي لِبَعْضِ الْوَقْتِ .

ديفيد : آ... تريدين أن تَبْقِي وَحْدَكِ !

المجنون : ستكونين وَحْدَكِ ، سيدتي الجميلة ، لا لبعض الوقت بل  
لوقتٍ طويلٍ ، طويلٍ ، طويلٍ .

ديفيد يستدير عن هَلِنُ  
يَتَوَجَّهُ صَوْبَ الْبَابِ عِنْدَ قَاعَةِ السَّلْمِ  
هَلِنُ ظَنَّتْ أَنَّهُ سَيَصْعَدُ إِلَى غُرْفَتِهِ .  
تَوْمٌ لِعَشِيقِهَا أَنْ يَبْقَى سَاكِنًا قَلِيلًا بَعْدَ  
لَكِنْ دَيْقِيدٌ يَفَاجِئُ هَلِنَ :  
يَتَوَجَّهُ بِخُطَى وَثْقَى إِلَى الْبَابِ ،  
يُقْفَلُهُ بِالْمِفْتَاحِ وَيَقِفُ بِهِ  
يَصْرُخُ عَالِيًا فِي الْإِحَاحِ

ديفيد : أَنَا... أَنَا... أَنَا...

صمت قصير . هَلِنُ وَعَشِيقُهَا مُتَجَمِّدَانِ دَعْرًا  
ديفيد يعيد المناداة

ديفيد : أَنَا... أَنَا...

خُطَى أَنَا تَتَحَرَّكُ فُورًا ، فَوْقَ ، بِشَكْلِ مَسْمُوعٍ وَتُجِيبُ مِنْ غُرْفَتِهَا

صوت أَنَا : مَا بَكَ ، أَبِي ؟ مَا الْأَمْرُ ؟

ديفيد : إنزلي ... إنزلي فورًا إليّ. أسرع.

صوت آنا : آتية... آتية فورًا إليك.

هلين في قمة غضبها

هلين : أيها الخلد الأعشى... تريد أن تراني بعيني ابنتي؟ ليكن لك ما تريد. فلتأت. ولتأت أيضًا كل ابنة لعينة لكل امرأة لعينة.

آنا تطل عند رأس السلم

## المشهد السابع

### هَلِنُ - دَيْقِيدُ - العَشِيقُ - المَجْنُونُ - أَنَا

أَنَا تَظْهَرُ بَثْوِبِ النُّوْمِ الطَّوِيلِ الفُضْفَاضِ، شَعْرُهَا مَسْدَلٌ عَلى كَتْفَيْهَا  
تَحَدِّقُ مَبَاغَتَةً إِلى المَشْهَدِ فِى القَاعَةِ بِاسْتِغْرَابٍ وَذَهْوَلٍ كَثِيرٍ

دَيْقِيدُ : هَلِ أَنْتِ نَازِلَةٌ، أَنَا؟

أَنَا تَنْزِلُ السُّلْمَ عَلى مَهَلٍ، دَرَجَةٌ، ائْتِنَيْنِ، تَتَوَقَّفُ قَلِيلًا، ثَم تَوَاصِلُ نَزْوَلِهَا

أَنَا : هُنَا أَنَا، أَبِي. أَنَا مَعَكَ.

تَبْلُغُ أَسْفَلَ السُّلْمِ وَتَتَقَدَّمُ مِنْ دَيْقِيدٍ حَتَّى تَقِفَ حَدَّهُ  
هَلِنُ وَعَشِيقُهَا فِى أَعْلَى دَرَجَاتِ القَلْقِ، وَعَلى وَجْهَيْهِمَا رَعْبٌ كَثِيرٌ  
دَيْقِيدٌ يَنْظُرُ إِلى الزَّوَايَةِ حَيْثُ العَشِيقُ

دَيْقِيدُ : أَنَا؟ مَنْ هُنَا فِى العَرَفَةِ غَيْرُنَا أَنْتِ وَأُمُّكَ وَأَنَا؟ قَوْلِي لِي: مَنْ  
هُنَا؟

هَلِنُ وَعَشِيقُهَا مَذْعُورَانِ مِنْ جَوَابِ يَفْضَحُهُمَا  
أَنَا تُجِيبُ بِبَطْءٍ وَتَعَثُّرٍ

أَنَا : مَا... مَا مِنْ أَحَدٍ هُنَا يَا أَبِي.

هَلِنُ وَعَشِيقُهَا يَكَادَانِ يَسْقُطَانِ أَرْضًا مِنْ شِدَّةِ الهَلَعِ  
دَيْقِيدٌ يَرْفَعُ رَأْسَهُ صَارِخًا

دَيْقِيدُ : رَبَّاهُ! أَلَيْسَ فِى هَذَا العَالَمِ شَخْصٌ وَاحِدٌ يَرى مَا أُحْسِ بِهِ؟  
أَنَا، أَسْأَلُكَ مُجَدِّدًا: مَنْ هُنَا مَعَنَا؟

آنَا بهدوءٍ، تُمسكُه من زنده

آنَا : ما من أحدٍ هنا سوانا. ما إلا نحن. ثلاثتنا فقط.

المجنون : الآن قالت حقيقةً حتى أنا لا يمكنني أقولها بهذه البساطة الجميلة.

ديفيد : آنَا... كنتُ أظنُّكَ تَرينَ ما أحسُّ به. ها أنا الآن وحدي، إنما لستُ في العتمة. عيناَيِ المُطْفَأَتَانِ تَرَيَانِ شبحَ رجلٍ ميتٍ هنا في بيتي.

فجأةً يضع يده على كتفها

ديفيد : آ... فهمتُ. الآن فهمتُ. عيناكِ الطُفُ من أن تَرِيا.

تبادره بهدوء واضح

آنَا : قلتُ لك أن لا أحد هنا إلا أنا. لا أحد.

ديفيد يستدير فجأة، وبسرعةٍ يفتح الباب واسعًا يرفع يده ويشير مباشرةً إلى العشيق ويأمر

ديفيد : تعال. تقدّم يا شبحَ رجلٍ ميت. أخرج من هنا فورًا. أخرج من بيتي. أغرب عني فلا تُورِّقني بعد اليوم.

العشيق يتقدم من الباب بخطوات متلكنة على رؤوس أصابعه لا يعبأ بإيماءات هِلن أن يظلَّ صامتًا جامدًا في مكانه يتناول معطفه وقبّعتَه وشالَ رقبته ويخرج

تدخل القاعة هبّةً ثلجيةً قويةً من العاصفة في الخارج

## المشهد الثامن هَلِينُ - دَيْقِيدُ - أَنَا - المَجْنُونُ

هَلِينُ تسرع صوب الباب.

تتناول بسرعة معطفاً.

تلتفت بُرْهَةً إِلَى الغُرْفَةِ

ثم تصرخ في غضب

هَلِينُ : ... وَأَنَا أَيْضًا سَأُخْرِجُ مِنْ بَيْتِكَ، أَيُّهَا الخُلْدُ الأَعْمَى.

تَوَجَّهَ إِصْبَعُهَا المُرْتَجِفَةَ إِلَى أَنَا

هَلِينُ : ... وَأَنْتِ، أَيُّهَا الحِيزِيونَ المُوْغِيَةُ التي تَسْرِقُ بِأَنَا مَلَ رَشِيْقَةَ،

خَلِيْكَ هُنَا فِي هَذِهِ العِتمَةِ مَا اسْتَطَعْتَ اِحْتِمَالًا. خَلِيْكَ

هُنَا فِي هَذَا اللَّيْلِ الأَبْدِيِّ.

تَخْرُجُ وَتَصْفِقُ خَلْفَهَا البَابَ

## المشهد التاسع أنا - ديشيد - المجنون

أنا : لم يكن أحدٌ هنا غيرُنا. فهمتَ يا أبي ؟

تضع يدها على كتفه وتنظر إلى وجهه  
ديشيد يتوجه إلى الباب الداخلي ويقفله بالمفتاح

ديشيد : نعم أنا، فهمتُ الآن. فهمتُ الكثير.

المجنون : ستمحو العاصفةُ آثارَ خطواتهما على الثلج. وسوف يذوب  
الثلج. ثم يأتي الربيع، يا صديقي، وتُطلُّ جميعُ الزهور  
في جميع الحقول، تفتَحُ عيونها وتلتفتُ كي ترى وجه  
الشمس.